التبكيت ، وأساليبه النحويّة
في القرآن الكريم

أ.م.د . سهاد جاسم عباس

The Censure and its rhetorical methods in the Holy Quran

Asst.Prof.,phd Suhad Jasim Aabbas

This research concentrate about one of the meanings in Arabic language that is the censure and talked about its linguistic and conventional meaning , and its methods and following the rhetorical methods in Holly Quran, this research consisted an introduction about this idiom and three sections , the first one mentioned the most famous methods of censure in Arabic language with a meaning of every method, the second dealt with the informed methods that came down in Holly Quran ,and the third dealt with the studying of lingual construction methods, and it depend on the interpretation books which they were the main sources ,and lingual books, and got use of the Arabic dictionaries.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمّد بن عبد الله، الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتّبع هديه إلى يوم الدين ، وبعد ..

فهذا بحث مختصّ بمعنى من معاني العربيّة ، تلك اللغة الغنّاء بمعانيها الثرّة . هذا المعنى هو التبكيت ، وهو الغلبة بالحجّة وإلزام الخصم بها ، وإفحامه . فعني البحث بهذا المعنى ، وتبيان طرقه ، وتتبّع أساليبه النحوية في القرآن الكريم ؛ ليبنى من بعد هذا تصوّر عن أساليب هذه المعجزة الخالدة الّتي نزلت على نبيّنا الكريم محمّد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ في مواجهة خصوم هذا الدين القويم ، وإلزامهم الحجّة وإسكاتهم ، وبيان عجزهم ، وباطل دعواهم .

استقام هذا البحث في تمهيد عنى بما ورد في المعاجم اللغويّة لهذه للجذر الثلاثيّ (بكت) من معاني ، وثلاثة فصول ، يعنى الأوّل منها ببيان أشهر طرق التبكيت في العربيّة ، مع تعريف لكلّ طريقة ، مع ذكر شاهد لها أو أكثر من القرآن الكريم . أمّا المبحث الثاني ، فتناولت فيه الأساليب الخبريّة الّتي وردت في القرآن الكريم للتبكيت . والمبحث الثالث يعنى بدراسة الأسالب الإنشائيّة الّتي أفادت هذا المعنى في الكتاب العزيز .

وكانت كتب التفاسير من أهمّ مصادر هذا البحث، ومن أهمّها: البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والتحرير والتنوير لابن عاشور. كما أفدت من كتب البلاغة القديمة والحديثة، الّتي منها الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للدكتور عبد الرحمن حسن حبنّكة، وأفدت من المعاجم العربيّة التي منها تهذيب اللغة للأزهري، وأساس البلاغة للزمخشري ، ولسان العرب لابن منظور .

وبعد هذا أسأل الله العليّ العظيم التوفيق والسداد ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنّه سميع مجيب .

.التمهيد :

من يراجع المعاجم العربية يجد للفظ التبيكت معاني متقاربة ، فهو مصدر للفعل المزيد بالتضعيف (بكّت) والثلاثي منه ٠ بَكَت ــ يبكُت ــ بكتا ، من باب (كتَب ــ يكتُب) وقيل هو من باب (ضرب ــ يضرب)(١).

إنّ لهذه المادة معنى حسيّاً ومعاني ذهنية ، فالمعنى الحسيّ هو الضرب الّذي يكون بالسيف ، أو بالعصا ، أو نحوهما ، يقال : " بكّته بالعصا تبكيتاً ، وبالسيف، ونحوهما ."(٢)

وله معان ذهنية متعددة كلها متقاربة ، أذكرها كما وردت في المعاجم العربية :

١ ــ الاستقبال بما يكره : وهو أن يستقبل إنسان إنسانا بما يكرهه من ذم أو تقريع ، كأن يقول له : يا فاسق ، أما اتّقيت ! أما استحيت! ومنه يقال للمرأة المعقاب : المبكَّت ؛ لأنّها كلّما وضعت أنثى ، استقبلها زوجها بالمكروه(٣) . فيقال على هذا : بكّت فلانٌ فلاناً تبكيتاً . إذا استقبله بما يكره(٤) ، وعيّره وقبّح فعله(٥) .

٢ ــ التوبيخ والتقريع : يقال : " بكّته تبكيتاً، إذا قرّعه بالعذل تقريعاً."(٦) ومنه ما جاء في الحديث الشريف أنّه أتي بشارب، فقال: بكّتوه. فبكَّتوه(٧). قال الخطابي: "

---

(١) ينظر : تاج العروس ٤ / ٤٤٦ (بكت) .

(٢) العين ٥ / ٣٤٢ (بكت)، وينظر: تهذيب اللغة١ / ٨٩ (بكت)، والقاموس المحيط ١ / ١٨٩ (بكت) .

(٣) ينظر: الفائق ١/ ١٢٥ .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ١ / ٨٩ (بكت) ، والقاموس المحيط ١ / ١٨٩ (بكت) ، ولسان العرب ٢ / ١١ (بكت) ، و تاج العروس ٤ / ٤٤٦ (بكت) .

(٥) ينظر: المصباح المنير ١ / ٥٨ .

(٦) لسان العرب ٢ / ١١ (بكت) .

(٧) يراجع الحديث في سنن أبي داود ٤ / ٢٧٧، ورقمه ٤٤٨٠ .

والتبكيت ها هنا التقريع باللسان، هو أن يقال: أما اتّقيت الله! أما خشيت الله ! أما استحيت من الناس! ونحو هذا من الكلام ."(١) وقال ابن حجر: "وهو أمر بالتبكيت، وهو مواجهته بقبيح فعله."(٢) ففي هذا المعنى دلالة على التعنيف في اللوم والتوبيخ، وهو معنى يقترب اقترابا شديداً من المعنى الأوّل؛ فالأوّل أوسع وأشمل ، إذ إنّه استقبال بما يكره، سواء كان بالفعل أو اللسان، أمّا التوبيخ والتقريع، فلا يكون إلاّ باللسان. والوتبيخ عند البلاغيّين احد معاني الكلام العربيّ، يختلف عند معنى التبكيت عندهم، وهو أحد الطرق التي بها يتوصّل إليه، كما سيمرّ معنا .

٣ ـ الغلبة بالحجّة(٣) : يقال: بكَته بالحجّة وبكّته، إذا غلبه، ويقال بكّته حتّى أسكته، وألزمه ما عيّ بالجواب عنه(٤) و " بكته بالحقّ بكتاً وقفه عليه."(٥)وقد يكون يكون بتوجيه سؤال للمتلقّي، ليس بقصد تحصيل الإجابة، وإنّما لغرض تعجيزه عنها؛ لأنّ المتكلّم يعلم بدءاً أنّه عاجز عن الجواب، قال الزبيدي: "والسؤال قد يكون للاستعلام، وقد يكون للتبكيت، قوله:] = < ? Z(٦). "(٧) وهو المراد من من التبكيت عند البلاغيّين .

هذه هي المعاني الّتي وردت في المعاجم اللغويّة لهذه اللفظة ، فهو من الثلاثي المجرّد (البكْت)، ومن المزيد بالتضعيف (التبكيت). ويبدو أنّ الغرض من الزيادة هو المبالغة في معنى الفعل لا غير .

للتبكيت معنى حسّي، هو الضرب بالسيف أو العصا. فمن ضُرب بهما أو ما أشبههما، فقد غُلب، وقُهر، وعُنّف، وهو أمر مكروه له لا ريب. والمعاني الذهنيّة

---

(١) غريب الحديث للخطابي ١ / ٣٦٧ .

(٢) فتح الباري ١٢ / ٦٧ .

(٣) ينظر : القاموس المحيط ١ / ١٨٩ (بكت) ، ولسان العرب ٢ / ١١ (بكت) .

(٤) ينظر : أسا س البلاغة ١ / ٤٨ (بكت) ، وتاج العروس١ / ٤٤٦ (بكت) .

(٥) الأفعال لأبي القاسم السعدي ١ / ٨٤ .

(٦) التكوير / ٨ .

(٧) تاج العروس ٢٩ / ١٥٧ (سأل) .

هذه، أعني الغلبة، والقهر، والتعنيف مستمدّة من الضرب الحسّي بالسيف والعصا . ومن هنا استعملت هذه اللفظة (التبكيت)، وأصلها الثلاثي (البكت) للدلالة على هذه المعاني ، فدلّت على الاستقبال بما يكره ، والغلبة بالحجّة، والتعنيف ، والتقريع .

يلاحظ أنّ أصحاب المعاجم قد فصلوا بين الدلالة على التقريع والتعنيف من جهة، وبين الدلالة على الاستقبال بما يكره من جهة أخرى . ويبدو أنّ المعنى الثاني هو غير الأوّل، وإن كان منه قريباً ، فقد تردّد الاستشهاد بقولهم : أما استحييت ! أما فعلت! في شرحهم للمعنيين؛ فهو أسلوب يدخل فيهما. ومن هنا يتبيّن أنّ بين المعنيين فرقاً ، فالاستقبال بما يكره يكون بالتقريع وغيره ، من ذمّ ولوم وما إلى ذلك من لفظ وقول، ويكون أيضاً بفعل يكرهه المتلقّي . ويكون ردّاً عن ذنب صدر من المتلقّي، أو بغير ذنب منه، كما هو حال المرأة المعقاب. أمّا التقريع والتعنيف، فهو قول يوجّه للمتلقّي على وجه فيه شدّة في التوبيخ ، بسبب فعل مشين أو ذنب صدر منه . فهو يدخل في معنى الاستقبال بما يكره ، وإن كان أخصّ منه .

وفي العربيّة ألفاظ مرادفة لهذا المعنى، هي :

ـ البكع: وهو شدّة الضرب المتتابع في مواضع متفرقة من الجسد، تقول : بكّعته بالسيف والعصا . فالتبكيت والبكع: أن تستقبل الرجل بما يكره . ويقال : بكّعه تبكيعاً، إذا واجهه بالسب والكلام⁽¹⁾ . وقد نصّ الزمخشريّ على أنّ من المجاز أن يقال: " كلّمته فبكعني بجواب خشن، وخشيت أن تبكّعني بما أكره ."⁽²⁾

ـ التثريب: يقال : ثرّب فلان على فلان، إذا بكّته وعدّد عليه ذنوبه، وثرَب وثرّب وأثرب، إذا وبّخ ، والثارب : الموبّخ⁽³⁾ .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة ١ / ٢١٢ (بكع) ، ولسان العرب ٨ / ١٩ (بكع) .

(٢) أساس البلاغة ١ / ٤٨ (بكع) .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١٥ / ٥٩ (ثرب) .

ــ التأنيب : فأنّبه تأنيباً، إذا عنّفه ولامه ووبّخه أو بكّته. فالتأنيب أشدّ العذل ، وهو التوبيخ والتثريب(١) .

ــ التبقيط : يقال : بقّط في الكلام ، وفي المشي ، إذا أسرع فيهما ، وبقّط فلاناً بالكلام ، إذا بكّته تبكيتاً(٢) .

ــ الغتّ : يقال : غتّه الكلامُ غتّاً ، إذا بكّته تبكيتاً وغلبه وقهره(٣) .

ــ التبخيت : هو أن تكلّم خصمك حتّى تنقطع الحجّة(٤) .

وقد يكون التبكيت بالفعل دون الكلام ، كما فعلت امرأة العزيز بالنسوة ، فيما ورد في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ قال تعالى : M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6
7 8 9 : ; < = > ? @ A B L يوسف: ٣١

قال البيضاوي : " (وآتت كلّ واحدة منهنّ سكيناً) حتّى يتّكئن ، والسكاكين بأيدين، فإذا خرج عليهنّ يبهتن ويشغلن عن نفوسهنّ، فتقع أيديهنّ على أيديهنّ، فيقطعنها، فيبكَّتْن بالحجّة ."(٥)

والتبكيت أحد الأغراض البلاغيّة الّتي يخرج إليها الكلام العربيّ ، بأساليب مختلفة، فعن الضحّاك أنّه قال: " والتبكيت يكون بغير استفهام و باستفهام."(٦) ويكون

---

(١) ينظر : تاج العروس ٢ / ٣٢ (أنب) .

(٢) ينظر : تاج العروس ١٩ / ١٦٥ (بقط) .

(٣) ينظر : لسان العرب ٢ ، ٦٤ (غتت) .

(٤) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب ١ / ٥٨ .

(٥) أنوار التنزيل ٣ / ٢٨٤ ــ ٢٨٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحّاس ١٧٧/٣ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٩٦ ، البحر المحيط ٧ / ١٢ .

" إمّا للمخاطب أو لغيره."(١) وهو عند البلاغيّين يعني إلزام الخصم الحجة وإسكاته ، فلا يوفّق إلى جواب .

وفي هذا البحث محاولة للوقوف على الأساليب النحويّة الّتي خرج فيها المعنى إلى غرض التبكيت .

الفصل الأوّل

طرق التبكيت

للتبكيت طرق عديدة ، للمتكلّم أن يسلكها لإلزام خصمه الحجّة أشهرها :

أولا .الإنكار:

هو نقيض الإقرار(٢) . ويكون بهمزة الاستفهام ، قال القزويني: " والإنكار كالتقرير يشترط أن يلي المنكر الهمزة."(٣) وهو ما يسمّى بالاستفهام الإنكاريّ ، وهو الاستفهام الّذي "يراد به النفي مع الإنكار على المُثبِت كيف أثبت ما هو ظاهر النفي ، وكان الواجب عليه أن ينفي ، أو مع الإنكار على المخاطب قضيّته ، وهي باطلة في تصوّر موجّه الاستفهام ... وقد يشرب الإنكار معنى التوبيخ والتقريع."(٤)

ويقسّم البلاغيّون الاستفهام الإنكاريّ على قسمين ، الأوّل منهما : الاستفهام التوبيخي ، والثاني : الاستفهام التكذيبي . وقد ذكرهما القزويني في قوله : "ومنها الإنكار ، إما للتوبيخ بمعنى ما كان ينبغي أن يكون .نحو : أعصيت ربك ؟ أو بمعنى : لا ينبغي أن يكون ، كقولك للرجل يضيع الحق : أتنسى قديم إحسان فلان؟ وكقولك للرجل يركب الخطر : أتخرج في هذا الوقت ؟ أتذهب في غير الطريق ؟

---

(١) المفردات في غريب القرآن ١ / ٣٤ .

(٢) الفروق اللغوية ٦٥ ، وينظر : جامع العلوم ١ / ١٣٣. ويقال : أنكرت عليه فعله ، إذا عبته ونهيته . ينظر : المصباح المنير ٢ / ٦٢٥ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ١٣٨ .

(٤) البلاغة العربيّة ، أسسها وعلومها وفنونها١ / ٢٧١ .

والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به. وإما للتكذيب بمعنى: لم يكن كقوله تعالى: M 5 6 7 8 9 : ; L(١) وقوله: M Đ Ñ Ò Ó L(٢) أو بمعنى: لا يكون نحو: M Ô Õ Ö × L(٣)"(٤)

وهو من الطرق الّتي يكثر التبكيت بها ؛ وذلك لأثرها على المخاطب ، وقد بين عبد القاهر الجرجاني الغرض من الاستفهام الإنكاري عند تقديم الاسم أو الفعل ، بقوله : هو" لتنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ، ويعيا بالجواب..."(٥)

وسأعرض للتبكيت بالإنكار، بنوعيه التوبيخي والتكذيبي، بما يأتي :

١ــ الإنكار التوبيخي :

التوبيخ في اللغة هو اللوم ، يقال : وبّخته بسوء فعله ، إذا لمته وأنّبته(٦) . وهو" اللوم الشديد العنيف وقيل التقريع على جهة الزجر."(٧) وهذا المعنى هو الأصل لمفهومه عند البلاغيّين .

وبهذا المعنى يستعمل البلاغيون لفظ التقريع ، قال ابن الأثير : " ولا تحوج فيه إلى التقريع، وهو أشدّ العتاب. "(٨)" فالتوبيخ توجيه اللوم والعتاب الشديد الموجع،

---

(١) الإسراء ٤٠ .

(٢) الصافات ١٥٣ .

(٣) هود ٢٨ .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة ١٣٧ ــ ١٣٨ .

(٥) دلائل الإعجاز ١٠٥ ، وينظر : دراسات في البلاغة العربية ٥٧ .

(٦) ينظر : العين ٥ / ٣١٥ (وبخ) ، وتهذيب اللغة ٧ / ٢٤٦ (وبخ) ، والمحيط في اللغة ٤ / ٤٢٨(وبخ) .

(٧) التوقيف على مهمّات التعاريف ٢١٤ .

(٨) المثل السائر ١ / ٤٥ .

وأصله القرع والضرب(١). ويبدو أنّ اللفظتين (التقريع والتوبيخ) تؤدّيان ــ في عرف البلاغيّين ــ معنى واحدا .

ويكون بأسلوب الاستفهام، وعدّه البلاغيون قسما من أقسام الاستفهام الإنكاري، ومعناه في الماضي: ما كان ينبغي لك هذا ، وما كان يليق أن يصدر منك . وفي غير الماضي معناه: لا يصحّ أن يكون ذلك منك ويحدث . فالاستفهام التوبيخي قد يكون على شيء حدث بالفعل، أو يمكن أن يحدث(٢)، "ويوجّه للتوبيخ على فعل شيء غير حسن في نظر موجّه الاستفهام ."(٣)

ومما ورد منه في القرآن الكريم في مواضع، منها ما جاء في سورة الرحمن ، إذ كرّر الاستفهام بــ(أيّ)، في قوله تعالى : M z { | } ~ L الرحمن: ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، وآيات أخرى متاولية في السورة .

إذ كرّرت هذه الآية في سورة الرحمن ليعدّد نعمه تعالى ، ويذكّر عباده بها ، وينبّههم على قدرها وقدرته تعالى ، وجعل هذه الآية فاصلة بين ذكر هذه المعاني ؛ لتعرف موضع ما أسداه إليهم ، وتعداد النعم منه تعالى تبكيت لمن أنكرها ، قال الحموي : " فإن الرحمن جل جلاله ما عدد آلاءه هنا إلا ليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له ."(٤) ."(٤) فجاء الاستفهام بــ(أيّ) لغرض التوبيخ والتقريع ، ثمّ تبكيت الموبَّخ بتوبيخه ، " والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصّل من فنون النعماء ، وصنوف الآلاء، الموجبة للإيمان والشكر ....مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ."(٥)

---

(١) البلاغة العربيّة ، أسسها وعلومها وفنونها ٢٧٤ .

(٢) ينظر : دراسات في البلاغة العربيّة ٥٦ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ١ / ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٣) البلاغة العربيّة ، أسسها وعلومها وفنونها ٢٧٤ .

(٤) خزانة الأدب ١ / ٣٦٢ .

(٥) البحر المديد ٧ / ٣٩٨ ، ونظر : إرشاد العقل السليم ٨ / ١٧٨.

وقيل إنّ الاستفهام هنا للتقرير ، قال أبو حفص عمر الدمشقي في اللباب : "فالتكرير في هذه الآيات للتأكيد ، والمبالغة في التقرير ، واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم على خلقٍ بعد خلق."(١) وقال ابن عاشور : " و"أي" استفهام عن تعيين واحد من الجنس الذي تضاف إليه وهي هنا مستعملة في التقرير بذكر ضد ما يقربه .... أي لا يستطيع أحد منكم أن يجحد نعم الله."(٢)

ويقول السيد قطب : " وهو سؤال للتسجيل والإشهاد . فما يملك إنس ولا جان أن يكذب بآلاء الرحمن في مثل هذا المقام ."(٣)

وجاء ذلك في قوله تعالى : M 5 6 7 8 9 : ; =
> ? @ A L الإسراء: ٤٠

فالاستفهام في الآية إنكاري فيه توبيخ للمشركين في ادّعائهم البنين لأنفسهم ، ونسبتهم الإناث إليه تعالى عمّا يصفون(٤) . فالمعنى : " أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه . واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم ."(٥) يقول سيّد قطب : هو " استفهام للاستنكار والتهكم . استنكار لما يقولون من أن الملائكة بنات الله ، تعالى عن الولد والصاحبة كما تعالى عن الشبيه والشريك . وتهكم على نسبة البنات لله وهم يعدون البنات أدنى من البنين ويقتلون البنات خوف الفقر أو العار؛ ومع هذا يجعلون الملائكة إناثاً ، وينسبون هؤلاء الإناث إلى الله! فإذا كان الله هو واهب البنين والبنات ، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإناث

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٣١١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٢٧

(٣) في ظلال القرآن ٧ / ٩٨ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٦ / ٢٦ ، واللباب في علوم الكتاب ١٢ / ٢٩١

(٥) الكشاف ٢ / ٦٢٥ ، وينظر : صفوة التفاسير ٢ / ١٣٠ .

المفضولات؟! وهذا كله على سبيل مجاراتهم في ادعاءاتهم لبيان ما فيها من تفكك وتهافت . وإلا فالقضية كلها مستنكرة من الأساس."(١)

وقال عزّ وجلّ: NM L J I H G F E D CM

O L النمل: ٥٩

فالهمزة للاستفهام الإنكاريّ، الّذي جاء توبيخاً للمشركين على شركهم ، وتبكيتاً لهم، قال الرازي: " فأمّا قوله : (آلله خير أمّا يشركون)، فهو تبكيت للمشركين وتهكّم بحالهم؛ وذلك أنّهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلاّ لزيادة خير ومنفعة ، فقيل لهم هذا الكلام تنبيهاً على نهاية ضلالهم وجهلهم."(٢) وذكر الغرناطيّ أنّ مجيء اسم التفضيل (خير) في سياق هذا الاستفهام لتعنيفهم وتبكيتهم ؛ إذ لا خير في شركائهم ، فقال : "فدخلت (خير) الّتي يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم ، مع أنّه معلوم أنّه لا خير فيما أشركوا أصلاً."(٣) فمجيء الاستفهام في هذا السياق ملزم للمشركين بالإقرار بوحدانيّة الله تعالى ، ولو بقلوبهم إن استمرّوا على عنادهم وكفرهم ، قال ابن عاشور: " والاستفهام مستعمل في الإلجاء وإلزام المخاطب بالإقرار بالحق وتنبيهه على خطئه."(٤)

٣.الإنكار التكذيبي:

الكذب هو عدم مطابقة الخبر للواقع ؛ لاعتقاد المخبر لهما على خلاف ذلك(٥). أمّا التكذيب ، فهو النسبة إلى الكذب " لكنّ النسبة تارة توجد في القائل وأخرى في

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٢٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٧٦، وينظر البحر المحيط ٧ / ٦٤ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٢٧٣ ، وإرشاد العقل السليم ٦ / ٢٩٣ ، وصفوة التفاسير ٢ / ٣٠٧ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ٩٨ ، وينظر : فتح القدير ٤ / ٢٠٨ .

(٤) التحرير والتنوير ١٩ / ٢٨٤ .

(٥) ينظر : الفروق اللغويّة ٣٠٥ .

القول، تقول: كذّبني فلان وكنت صادقاً . وتقول كذّب فلان قول فلان . ويقال : كذّبه أي جعله كاذباً، وتقول : قلت لفلان : زيد يجيء غداً ، فتأخر عمداً حتى كذّبني وكذّب قولي ."(١) وعرّفه العسكريّ بقوله: التكذيب هو " التصميم على أن الخبر كذب بالقطع عليه ."(٢)

وهو من الطرق المستعملة في تبكيت المخاطب . وقد ورد ذلك في مواضع من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى:M ! " $ % & ') (+
, - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9
: ; L الأنعام: ١٤٣

جاء إنكار فعل التحريم ونفيه بالاستفهام الإنكاري ، إذ انتفى الفعل بنفي المفاعيل الثلاثة الّتي يتعلّق بها التحريم ، ممّا يؤدّي بالنتيجة إلى نفي التحريم ، كأنّه قيل: لو كان هناك تحريم، لكان متعلّقاً بواحد من هذه الأمور الثلاثة ، ولكنّ واحداً منها ليس محرّماً، فليس هناك إذن في التحريم .إذ إنّهم كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارة ، وأولادهما كيفما كانت ذكوراً أو إناثاً أو مختلطة تارة ،ويقولون : إنّ الله حرّمها ، فردّ الله تعالى عليهم إفكهم بإنكار محلّ التحريم(٣). وقد نصّ أبو العباس الإدريسي على اجتماع التكذيب مع التوبيخ في هذا الاستفهام، فيقول : "وهذا تقسيم على الكفار ؛ حتى يتبين كذبهم على الله ، وتوبيخ لهم ."(٤) والمعنى أنّه لو "كانت العلة الذكورة لحرم كل ذكر. ولو كانت الأنوثة لحرمت كل أنثى. ولو كانت اشتمال

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٨ / ١٣٢ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ١٤ .

(٢) القروق اللغوية ١٤٨ . ويكون التكذيب لما مضى بمعنى (ما كان) ، وللمستقبل بمعنى (لا يكون) . ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٣٧ ، و البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها ٢٠٩ .

(٣) ينظر : دلائل إعجاز ١٠٢ ، والكشاف ٢ / ٧٠ ، و دراسات في البلاغة العربية ٥٥ .

(٤) البحر المديد ٢ / ٤٤١ .

الرحم عليهما لحرم الجميع. وكون ذلك تعبدياً يقتضي أن الله وصاكم به بلا واسطة. إذ لم يأتكم منه رسول بذلك. فدل ذلك على أنه باطل أيضاً."(١)

ثانياً .التقرير :

هو حمل المخاطب على الإقرار بشيء يعرفه(٢) . ويكون بالاستفهام التقريري، وهو الاستفهام الّذي يراد منه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر يعلمه ، أو باستطاعته معرفته حسّياً أو فكريّاً ، منفيّاً كان أو مثبتاً(٣) ؛ وسبب اختيار الاستفهام لهذا الغرض هو " أنّه أوقع في النفس ، وأدلّ على الإلزام ."(٤)

والتقرير هو أحد الطرق المستعملة في التبكيت ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : T S Q P O N L K I H GF E D M

L a ` _ ^] \ [Y X W V U الأنعام: ١٢

فالاستفهام في قوله تعالى : (قل لمن ما في السماوات والأرض) هو استفهام تقريريّ استعمل لتبكيت المشركين، وقد نصّ على ذلك ابن عاشور، فقال: " والتقرير هنا مراد به لازم معناه، وهو تبكيت المشركين وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشركَ، فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي."(٥) ويبدو أنّه يقصد بالمعنى الصريح

---

(١) أضواء البيان ٣ / ٤٩٤ .

(٢) ينظر : البلاغة الاصطلاحيّة ١٧٢ . ولتفصيل أكثر في أسلوب التقرير وشروطه يراجع : دلائل الإعجاز ١٠٠ ــ ١٠١ ، و الإيضاح في علوم البلاغة ١٣٦ ــ ١٣٧. وقد يستعمل مصطلح التقرير للدلالة على التوكيد ، فيكون بمعنى : " توكيد الكلام بما يرفع احتمال المجاز والتخصيص نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون فقرر معنى العموم في الملائكة بذكر الكل حتى صار لا يحتمل التخصيص ." التوقيف على مهمات التعاريف ١٤٩.

(٣) ينظر : البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها٢٧٥.

(٤) البلاغة فنونها و أفنانها١ / ١٩٧.

(٥) التحرير والتنوير ٤ / ٤٤٩ .

التقرير، وبالمعنى الكنائي التبكيت. وأشار إلى أنّ الجواب قد أتى بما يريد السائل من المسؤول أن يجيب ، إذ إنّه الجواب المحقّق الذي ليس لمسؤول أن يهرب منه ، فيقول: " ولكونه مراداً به الإلجاء إلى الإقرار كان الجواب عنه بما يريده السائل من إقرار المسؤول محقّقاً لا محيص عنه ، إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو المغالطة ، فلذلك لم ينتظر السائل جوابهم وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله :(لله) تبكيتاً لهم ، لأنّ الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجّة مقدّرة فيه محاورة وليس هو محاورة حقيقية . وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلّم واحد . فهؤلاء القوم المقدّر إلجاؤهم إلى الجواب سواء أنصفوا فأقرّوا حقّيّة الجواب أم أنكروا وكابروا فقد حصل المقصود من دمغهم بالحجّة ."(١)

وهو ينصّ على أنّ هذا الأسلوب ــ وهو أسلوب التبكيت بالاستفهام التقريري متّبع في القرآن الكريم ، بذكر الجواب حيناً وبذكر ما سيجيبون به حيناً آخر، مستشهداً بنصوص من التنزيل ، كقوله تعالى : TRQ P O NMLM

g f e d c b a ` ^] \ [Z Y X W V U

{ z y x w v u s r q p o n m l k i h

الرعد: ١٦: L { |

وقوله تعالى : 2 1 0 . - , + *) (' & % $ # " ! M

DC B @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3

الأنعام: ٩١ L R Q P O N M K J H G F E

وقوله تعالى : ¯¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢M

À¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± °

المؤمنون:٨٤- ٨٧ L Ã Â Á

---

(١) التحرير والتنوير ٤ / ٤٤٩ .

ومن الاستفهام التقريريّ الذّي جاء لغرض التبكيت ما يتضمن التحسير والتنديم ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى : M x y z { } كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ £ ¤ ¥ ¦ § L الملك: ٨

فالاستفهام في قوله : (ألم يأتكم نذير) ؛ جاء لغرض إقرارهم بمجيء النذير لهم في حياتهم الدنيا، وفيه تتراكم معاني عدّة أشار إليها المفسّرون ، ففيه معنى التوبيخ والتحسير والتنديم، قال الزجّاج : " هذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب."(١) وقال ابن عاشور: "والاستفهام في (أَلَمْ يَـأْتِكُمْ نَـذِيرٌ) للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة."(٢) وأشار الزمخشريّ إلى ما يفيده هذا الاستفهام من معنى التحسير، بقوله : هو " توبيخ يزدادون به عذاباً إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم."(٣) وهذا الاستفهام التقريري الّذي تتزاحم فيه هذه المعاني مؤدّاه تبكيتهم بإقرارهم بظلمهم ، وقد أشار إلى دلالته على التبكيت البيضاويّ ، إذ قال : " وهو توبيخ وتبكيت ."(٤)

ويأتي جوابهم بما يدلّ على ذلّتهم وانكسارهم وتحسّرهم ؛ لما فوّتوه من حياتهم الدنيا ؛ لعدم اتّباعهم الرسل ومجابهتهم دعوتهم بالعناد والمكابرة ، قال السيّد قطب:" وواضح أن هذا السؤال في هذا الموضع هو للتأنيب والترذيل . فهي مشاركة لجهنم في الغيظ والحنق . كما هي مشاركة لها في التعذيب . وليس أمرّ من الترذيل والتأنيب للضائق المكروب! والجواب في ذلة وانكسار واعتراف بالحمق والغفلة ، بعد التبجح والإنكار واتهام الرسل بالضلال : M ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â ÃÄÅ Æ Ç L "(٥)

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٢٥٨ ، وينظر : مفاتيح الغيب ٣٠ / ٥٦ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٢٥ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٢٣٩، وإرشاد العقل السليم ٩ / ٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٤ .

(٣) الكشاف ٤ / ٥٨٣ ، وينظر : صفوة التفاسير ٣ / ٣٧٩ . .

(٤) أنوار التنزيل ٥ / ٣٦٢ .

(٥) في ظلال القرآن ٧ / ٢٦٧ . والآيتان من سورة الملك / ٩ ــ ١٠ .

وقد يرد الاستفهام التقريري لتكذيب المخاطب وتوبيخه ؛ لتبكيته ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: Z X W V U T S R Q P M

m k j i g f e d c b a ` . ^] \ [

L n النساء: ٩٧

فالاستفهام في الآية جاء لتبكيت الظالمين، وإبطال معذرتهم، قال أبو حيّان: "هذا تبكيت من الملائكة لهم، وردّ لما اعتذروا به. أي لستم مستضعفين، بل كانت لكم القدرة على الخروج إلى بعض الأقطار، فتهاجروا حتى تلحقوا بالمهاجرين ، كما فعل الذين هاجروا إلى الحبشة، ثم لحقوا بعد بالمؤمنين بالمدينة."(١) ففيه معنى التكذيب لدعواهم أنّهم مستضعفون في الأرض(٢) .

وقد ذكر السيوطيّ أنّ في الاستفهام توبيخاً لهم من الملائكة(٣)، "فالملائكة توبّخهم وتقرّعهم ؛ لأنّهم لم يهاجروا من الأرض الّتي كانوا مستضعفين فيها ، ورضوا بأن يكونوا ظالمي أنفسهم ، أي : أماكن لا يكرهون فيها على معصية الله."(٤)

وقال ابن عاشور: " والمعنى: قالوا لهم قول توبيخ وتهديد بالوعيد وتمهيد لدحض معذرتهم في قولهم: (كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ)، فقالوا : (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) "(٥) ويصرّح الشربيني باجتماع المعنيين : التكذيب والتوبيخ والتوبيخ في الجملة الاستفهاميّة، فيقول: " (قالوا) أي : الملائكة تكذيباً لهم وتوبيخاً : (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) "(٦)

---

(١) البحر المحيط ٣ / ٢٧٢ ، وينظر : إرشاد العقل السليم ٢ / ٢٢٣.

(٢) ينظر : أنوار التنزيل ٢/ ٢٤٢ .

(٣) ينظر : تفسير الجلالين ١١٨.

(٤) البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ١ / ٢٧٤ .

(٥) التحرير والتنوير ٤ / ٢٣٢ .

(٦) االسراج المنير ١/ ٢٦٢ .

وينصّ السعدي على أنّ الاستفهام للتقرير، فيقول: " وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله ."(١) ففي هذه الآية تجتمع طرق ثلاث لتبكيت الظالمين لأنفسهم ، هي التقرير والتكذيب والتوبيخ ، في سياق جملة واحدة ، وردت في أسلوب الاستفهام التقريريّ .

ثالثاً .التعجيز :

وهو ما يطلب فعله من المخاطب ؛ ممّا يعجز عن فعله ، مع علم المتكلّم بذلك. وبعبارة أخرى " هو أمر المخاطب بما يعجز عنه إظهاراً لضعفه عن القيام به."(٢)

قال القزويني، وهو يذكر أغراض الأمر : " والتعجيز ، كقولك لمن يدّعي أمراً تعتقد أنّه ليس في وسعه : افعله ."(٣)

والتعجيز من أشهر طرق التبكيت ، وقد ورد ذلك كثيراً في القرآن الكريم ، منها ما جاء في قوله تعالى : M § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ±
2 3 ´ µ L الإسراء: ٥٦

فأمر المشركين بالدعوة هذه جاء لغرض تبكيهم ، فهو أمر فيه تعجيز لهم وإقامة الحجّة عليهم(٤) . في سياق آية جاءت تحدّياً للمشركين(٥) ، وتوبيخاً لهم ، وتبكيتاً ، ، والمعنى : " قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٩٥ .

(٢) البلاغة الاصطلاحية ١٥٦ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ١٤٢ .

(٤) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٣٧٨ ، وإرشاد العقل السليم ٧ / ١٣١ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١٤ / ١١٢ .

آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه ."(١) "فليس أحد بقادر على أن يكشف الضر أو يحوله إلا الله وحده ، المتصرف في أقدار عباده . ويقرر لهم أن من يدعونهم آلهة من الملائكة أو الجن أو الإنس ، إن هم إلا خلق من خلق الله، يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الله ويتسابقون إلى رضاه ، ويخافون عذابه الذي يحذره من يعلم حقيقته ويخشاه ."(٢)

وفي هذا الأمر معنى التوبيخ مع التعجيز ، قال الآلوسي: " والأمر للتوبيخ والتعجيز، أي : ادعوهم فيما يهمكم من دفع ضر ، أو جلب نفع ؛ لعلّهم يستجيبون لكم إن صحّ دعواكم ."(٣)

ومثل هذه الآية قوله تعالى :M Á Â Ã Ä ÅÆÇÉ Ê Ë
Ì Í Î ÏÐ Ñ ÒÓ Ô Õ Ö ×Ø Ù Ú Û L سبأ: ٢٢

وقال تعالى : M ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹
º » ¼ ½ ¾ ¿ L الأعراف: ١٩٤

فالأمر في هذه الآية جاء للتعجيز والتبكيت ، والمعنى : " فادعوهم في جلب نفع أو كشف ضر ، إن كنتم صادقين في زعمكم أنّكم قادرون على ما أنتم عاجزون عليه ."(٤) فالأصنام لا تقدر أن تجيب ، فلا تستحقّ أن تعبد(٥) .

وقال تعالى : M £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ L
ص: ١٠

فصيغة الأمر (فليرتقوا) أفادت غرض التعجيز ، " وإيرادها للتعجيز دليل على عجز البشر عن ذلك عجزاً مطلقاً."(١) وفيه معنى التهكّم ، قال أبو العباس

---

(١) جامع البيان ١٧ / ٤٧١ ، وينظر : البحر المحيط ٦ / ٤٩ . .

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٢٩ .

(٣) روح المعاني ٢٢ / ١٣٥ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٠٦ ،وروح المعاني ٩ / ١٤٤ ، وصفوة التفاسير ١ / ٣٢٤ .

(٥) ينظر : البحر المديد ٢ / ٥٩١ .

الإدريسيّ: " ثمّ تهكّم بهم غاية التهكُّم فقال : (فليرتقوا في الأسباب)"(٢) وذكر أبو إسحاق النيسابوري أنّ فيه معنى التوبيخ ، فقال : "وهذا أمر توبيخ وتعجيز ."(٣)

والمعنى : " وإن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن كان له مُلك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقُّده وتعهُّده."(٤)

وقال تعالى : L s r q p o m l k j i h g f M
سبأ: ٢٧

ذكر المفسّرون أنّ في الأمر الوارد في الآية تبكيتاً وتوبيخاً للمشركين ، قال أبو حيّان : " بل في ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ، ولا يريد حقيقة الأمر ، بل المعنى أنّ الذين هم شركاء الله على زعمكم هم ممّن إن رأيتموهم افتضحتم ؛ لأنّهم خشب وحجر وغير ذلك من الحجارة والجماد . كما تقول للرجل الخسيس الأصل : اذكر لي أباك الّذي قايست به فلاناً الشريف ، ولا تريد حقيقة الذكر ، وإنّما أردت تبكيته، وأنّه إن ذكر أباه افتضح ."(٥) وهذا يقتضي أن يكون المتكلّم عالماً بحال ما يطلب من خصمه إحضاره ، وأن يكون الخصم على يقين بحقيقة ما هو مطلوب منه . فقد طلب منهم أن يروه ما هو بمرأى منهم ومنه (عليه الصلاة والسلام) ، وقد ذكر أبو السعود أنّ المراد بهذا الأمر " إظهار خطأهم العظيم ، وإطلاعهم على بطلان رأيهم. أي : أرونيها لأنظر بأيّ صفة ألحقتموها بالله الّذي ليس كمثله شيء ، في استحقاق العبادة . وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجّة عليهم ."(٦) ففي هذا الأمر

---

(١) أضواء البيان ٢ / ٢٥٨ ، وينظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ١١٩ .

(٢) البحر المديد ٦ / ٣١١، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٤٤٠، وأنوار التنزيل ٥ / ٣٨ .

(٣) الكشف والبيان ٨ / ١٨٠، وينظر : معالم التنزيل ٧ / ٧٣ .

(٤) جامع البيان ٢١/ ١٥٦، وينظر : معالم التنزيل ٧ / ٧٣ .

(٥) البحر المحيط ٧ / ٢٦٨ ، وينظر : صفوة التفاسير ٣ / ٦١ .

(٦) إرشاد العقل السليم ٧ / ١٣٣، وينظر : صفوة التفاسير ٣ / ٦١ .

تنبيه لهم على خطأهم العظيم وإظهاره لهم ، وبالتالي يثبت لهم بطلان رأيهم ، وهو ما يؤدّي إلى إلزامهم الحجّة وتبكيتهم ؛ فإنهم "إن أروه إيّاها تبيّن برؤيتها أنها جماد لا ينفع ولا يضرّ، واتّضح بعدها عن صفات الألوهيّة، فظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضرّ، فإحضارها والكلام فيها، وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها غائبة، مع أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعرفها."(١)

ونصّ ابن عاشور على أنّ الأمر في الآية جاء لغرض التعجيز ، فقال : "والأمر في قوله: (أَرُونِي) مستعمل في التعجيز، وهو تعجيز للمشركين عن إبداء حجة لإشراكهم ."(٢)

رابعاً .الاستدراج (إرخاء العنان) :

الاستدراج : من استدرج فلاناً ، إذا أدناه على التدريج ، عرّفه ابن الأثير بقوله: هو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه ، أو ما يخوّفه ويرعبه ، قبل أن يطلب منه ما يريد . او بعبارة أخرى ، هو ان يقدّم المتكلّم للمخاطب ما يعلم أنّه سيؤثّر في نفسه ، من ترغيب وإطماع وتزهيد(٣).

وتختلف طرقه وأساليبه باختلاف أمزجة المخاطبين ،وذلك يتطلّب أن يكون المتكلّم ذا قدرة في فهم الناس ، ومعرفة في استمالتهم بالكلام(٤). أمّا إرخاء العنان فهومصطلح جدلي، يراد به الاستدراج ، قال ابن عاشور : " ويسمّى في علم المناظرة: إرخاء العنان."(٥)

ونصّ ابن الأثير على أنّ هذا الفنّ استخرج من كتاب الله تعالى ، فقال : " وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى ، وهو من مخادعات الأقوال الّتي تقوم مقام

---

(١) أضواء البيان ٦ / ٢٦٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٢ / ٦١ .

(٣) ينظر : المعجم المفصّل في علوم البلاغة ١ / ٨٢ .

(٤) ينظر: المعجم المفصّل في علوم البلاغة ١ / ٨٢ .

(٥) التحرير والنوير ٢٢ / ٥٨ .

مخادعات الأفعال، والكلام فيه وإن تضمّن بلاغة ، فليس الغرض ها هنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمّنته من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم. "(١)وهو عينه ما يراد من التبكيت. ومثّل له بقوله تعالى :M 7

M L K J I HG F E D C B A@ ? > = < : 9 8

L P O N مريم:٤١ـ ٤٢ وقال : " طلب منه أولاً العلّة في خطيئته طلب منبّه على تماديه، موقظ له من غفلته ... ثمّ ثنّى بدعوته إلى الحقّ ، مترفّقاً به ، فلم يسم أباه بالجهل المطلق، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنّه قال إنّ معي لطافة من العلم وشيئا منه ...فاتبعني أنجك من أن تضلّ. ثمّ ثلّث ذلك بتثبيطه عمّا كان عليه ونهيه، فقال : إنّ الشيطان ...وهو عدوّك وعدوّ أبيك ، هو الّذي ورّطك في هذه الورطة ، وألقاك في هذه الضلالة ... ثمّ ربّع بتخويفه إيّاه سوء العاقبة ، فلم يصرّح بأنّ العقاب لاحق به ، ولكنّه قال : (إنّي أخاف أن يمسّك عذاب) ..."(٢)

ومن شواهده في القرآن الكريم ، قوله تعالى :M C D E F G H

X W U T S R Q P O N M L K J I

j i h g f e c b a ` _ ^] [Z Y

L m l k غافر: ٢٨

ذكر ابن الأثير هذه الآية شاهداً على الاستدراج ، وقال : " ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه ، فإنّه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً ، فكذبه يعود عليه ، ولا يتعدّاه ، أو يكون صادقاً ، فيصيبكم بعض الّذي يعدكم إن تعرّضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب ما أذكره لك ، فأقول : إنّما قال : (يصبكم بعض الذّي يعدكم) وقد علم أنّه نبيّ صادق ...؛ لأنّه احتاج في مقاولة خصوم موسى ــ عليه السلام ــ أن يسلك

---

(١) المثل السائر ٢ / ٢٥٠ ، وينظر : المعجم المفصل في علوم البلاغة ٨١ .

(٢) المثل السائر ٢ / ٢٥٢ .

معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول ، ويأتيهم من جهة المناصحة ؛ ليكون أدعى إلى سكونهم إليه ... وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل ، كأنّه برطلهم في صدر الكلام ما يزعمونه ؛ لئلاّ ينفروا منه ..... وكذلك قوله في آخر الآية :] e f g h i j k l Z أي : هو على الهدى ، ولو كان مسرفاً كذّاباً لما هداه الله للنبوّة، ولا عضّده بالبيّنات . وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به ."(١)

فالهمزة في (أتقتلون) للاستفهام الإنكاريّ، ويجتمع التبكيت مع الإنكار، نصّ على ذلك الزمخشري، إذ قال: " وهذا إنكار منه عظيم."(٢) "وتبكيت شديد. وهذا كان منه نصح عظيم لهم ."(٣) فالدلالة على التبكيت جاءت في سياق الاستفهام الإنكاريّ، الّذي ساقه قائله ناصحاً قومه . وهو أسلوب في النصح ورد فيه دليل قاطع على صدق الدعوة الّتي يدعو إليها الناصح قومه ، وإيراد الدليل على سبيل الإنكار والتبكيت في سياق النصح هذا؛ لأنّ المتكلّم على علم بعناد قومه ، وطغيانهم . فجاء في نصحه بما يقطع عليهم الحجّة ، مع إنكار فعلهم عليهم ، مستدرجاً إيّاهم إلى الاعتراف بما يريده، فقد جاء التبكيت بالاستدراج في سياق الإنكار ؛ وذلك أنّ الفعل الّذي يروم فعله المخاطبون فعل منكر يستدعي إنكار الخصم له ، فكأنّه قال " أترتكبون الفعلة الشنعاء الّتي هي قتل نفس محرّمة ، وما لكم عليه في ارتكابها إلاّ كلمة الحقّ الّتي نطق بها، وهي قوله :(ربّي الله) مع أنّه قد جاءكم بالبيّنات (من ربّكم)."(٤)

وقوله تعالى : M ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À
Á Â Ã Ä Å Æ Ç È L البقرة: ٢٣

---

(١) المثل السائر ٢ / ٢٥١ .

(٢) الكشاف ٤ /١٦٧ ، وينظر : البحر المحيط ٧ / ٤٤١.

(٣) عمدة القاري ١٥ / ٢٩١ .

(٤) البحر المحيط ٧ / ٤٤١ ، وينظر : روح المعاني ١٩ / ١٢٠ .

ذكر الزمخشريّ أنّ الأمر في هذه الآية جاء للتبكيت ، قائلاً : " وهذه غاية التبكيت ، ومنتهى إزاحة العلل ."[١] وقال أبو حيّان : " وهذا هو غاية لتبكيت والتخجيل لهم ، فإذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معضدوكم بالإتيان بسورة من مثله ، فكيف تزعمون أنّه من جنس كلامكم ؟ وكيف يلحقكم في ذلك ارتياب أنّه من عند الله ؟ "[٢]

قال الآلوسيّ : " والمعنى ادعوا شهداءكم من فصحاء العرب ، وهم أولياء الأصنام ، متجاوزين في ذلك أولياء الله ؛ ليشهدوا لكم أنّكم أتيتم بمثله ، والمقصود بالأمر حينئذ إرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت ، كأنّه في تركنا إلزامكم بشهداء الحقّ إلى شهدائكم المعروفين بالذب عنهم ، فإنّهم أيضاً لا يشهدون لكم حذاراً من اللائمة ، وأنفة من الشهدة البتة البطلان."[٣] وقال في موضع آخر : "وفيه من التبكيت والتخجيل لهم في الارتياب ما لا يخفى."[٤] وهذا الأسلوب مؤدّاه إظهار باطلهم .

وقوله تعالى : M! " # % & ' ( ) * + ,
- . / 0 1 2 3 4 L هود: ١٣

إذ جاء أمرهم بأن يأتوا بعشر سور مفتريات المعاني ، كما يزعمون على القرآن، أي "بمثل قصص أهل الجاهليّة وتكاذيبهم ، وهذا من إرخاء العنان والتسليم الجدلي ، فالمماثلة في قوله : (مثله) هي المماثلة في بلاغة الكلام وفصاحته ، لا في سداد معانيه ."[٥]

---

(١) الكشاف ١ / ١٢٧ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٤٥ .

(٣) روح المعاني ١ / ١٦٩ .

(٤) روح المعاني ١ / ١٩٣ .

(٥) التحرير والتنوير ١١ / ٢١٩ .

خامساً ـ توجيه السؤال:

السؤال هو استدعاء معرفة ، أو ما يؤدّي إلى المعرفة ، " والسُّؤالُ لِلْمَعْرِفةِ قد يكونُ لِلاسْتِعلاَمِ ، وقد يكونُ لِلتَبْكِيتِ وتارة يكون لتعريف!الْمَسْئُولْ وتنبيهه ، وهـــذا ظاهر."(١)

وتوجيه السؤال إلى الخصم أحد طرق التبكيت الواردة في القرآن الكريم ، كقوله تعـــالى : M j k l m n o p q r s t u v w y z {
| { L المؤمنون:١١٣ـ ١١٤

جاء فعل السؤال في الآية بصيغة الأمر] p q Z ، والغرض منه هو " التبكيت والتوبيخ فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ويظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا إعادة."(٢)

ويذكر السؤال موجّهاً إلى المسؤول لتبكيت غيره،كقوله تعـــالى:M = >
? @ A B C D L التكوير:٨ـ ٩

ففي سؤال الموءودة يوم الحشر تبكيت لقاتلها ؛ مع توبيخه وتهديـــده ، وإدخـــال الروع في قلبه ، و"لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته."(٣) "وجعل سؤالها عن تعيين ذنـــب أوجَـــب قتلهـــا للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها وليكون جوابُها شهادة على من وأدها فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر ..... وإنما سئلت عن تعيين الذنب الموجب قتلها دون أن تُسأل عن قاتلها لزيادة التهديد لأن السؤال عن تعيين الذنب مع تحقق الوائد الذي يسمع ذلك السؤال أن لا ذنب لها إشعار للوائد بأنه غير معذور فيما صنع بها ."(٤)

---

(١) تاج العروس ٢٩ / ١٥٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢٣ / ١١٠ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٢٦٨ .

(٣) روح البيان ١٠ / ٢٦٩ .

(٤) التحرير والتنوير ٣٠ / ١٣٠ .

ووجه تبكيت الوائد في توجيه السؤال للموءودة دونه ، فهو أنّ " المجني عليه إذا سئل بمحضر من الجانب ، ونسب إليه الجناية دون الجاني ؛ كان ذلك بعثاً للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه ؛ فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى أنّه هو المستحق لكل نكال ، فيفحم."(١)

واستعمل فعل الاستفتاء للدلالة على السؤال في قوله تعـــالى : M [\
] ^ _ ` a c d e f g h L الصافات: ١١

فالاستفتاء هنا بمعنى السؤال ، وبيّن ذلك ابن عاشور بقوله : " والمعنى : فاسألهم عن رأيهم فلما كان المسؤول عنه أمراً محتاجاً إلى إعمال نظر أطلق على الاستفهام عنه فعل الاستفتاء .... فهو يستعمل في كل ما يستعمل فيه الاستفهام."(٢)

وهو استفتاء يراد به تبكيت الكفرة ، إذ أنكروا البعث ، قال أبو السعود : " (فاستفتهم) أمر الله ــ عزّ وجلّ ــ في صدر السورة الكريمة بتبكيت قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث <u>بطريق الاستفتاء</u> ."(٣) وليس لهذا الاستفتاء إلاّ جواب واحد، " هو أن يقال: من خلقت يا ربّنا من الملائكة، ومردة الجنّ، والسماوات والأرض، والمشارق، والمغارب، والكواكب، أشدّ خلقًا منّا؛ لأنها مخلوقات عظام أكبر وأعظم منا، فيتّضح بذلك البرهان القاطع على قدرته جلَّ وعلا على البعث بعد الموت؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن من خلق الأعظم الأكبر كالسماوات والأرض، وما ذكر معهما قادر على أن يخلق الأصغر الأقلّ."(٤)

---

(١) روح البيان ١٠ / ٢٦٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ١٦ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧ / ٢٠٦ ، وينظر : روح المعاني ٢٣ / ١٤٩.

(٤) أضواءالبيان ٦ / ٣٠٦ .

سادساً .المذهب الكلاميّ :

عرّفه القزويني بقوله : " هو أن يورد المتكلّم حجّة لما يدّعيه على طريق أهــل الكلام ."(١) وعرّفه الحموي بقوله : " أن يأتي البليغ على صـــحّة دعــواه وإبطــال دعوى خصمه ، بحجّة قاطعة عقليّة ، تصحّ نسبتها إلى علم الكلام ، إذ علم الكــلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقليّة القاطعة ."(٢) وعقد له الزركشـــي باباً سمّاه (إلزام الخصم بالحجّة)(٣) .

وممّا ورد منه في القرآن الكريم قولــه تعــالى:M § ¨ © ª « ¬
® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ L
الأنبياء: ٢١ - ٢٢

ففي قول الله تعالى :] ° ± ² ³ ´ µ ¶ Z حجّة عقليّة ، ممّا يحتجّ به علماء الكلام(٤). قال الحموي : " هذا دليل قاطع على وحدانيّته ــ جلّ جلالــه ــ وتمام الدليل أن تقول ، لكنّهما لم تفسد ، فليس فيهما آلهة غير الله ."(٥) وفيها دليل على بطلان عقيدة المشركين في عبادتهم غير الله تعالى ، قال ابن عاشور : " وهذا استدلال على بطلان عقيدة المشركين إذ زعموا أن الله جعل آلهة شركاء لــه فــي تدبير الخلق ... هذه الآية استدلال على استحالة وجود آلهة غيــر الله بعــد خلــق السماوات والأرض ؛ لأن المشركين لم يكونوا ينكــرون أن الله خــالق الســماوات والأرض ."(٦)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٣٤١ ،

(٢) خزانة الأدب ١ / ٣٦٤ ، وينظر : البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ / ٤٤٦ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٦٨ .

(٤) ينظر : البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ / ٤٤٦ .

(٥) خزانة الأدب ١ / ٣٦٤ .

(٦) التحرير والتنوير ١٧ / ٢٩ .

وقوله تعـــالى :M ª » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ ¶ ¸
¹ º » L يس: ٨١

ذكر الزركشيّ هذه الآية شاهداً على هذا الباب ، والمعنى : " أوليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما ، وعظم شأنهما ؟ قادر على ان يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها؟"(١) وقد ورد الاستدلال هنا بالاستفهام التقريريّ ، وبيّن ذلك ابن عاشور بقوله : "وجيء في هذا الدليل بطريقة التقرير الذي دل عليه الاستفهام التقريري لأن هذا الدليل لوضوحه لا يسع المقر إلا الإقرار به فإن البديهة قاضية بأن من خلق السماوات والأرض هو على خلق ناس بعد الموت أقدر. وإنما وجه التقرير إلى نفي المقرر بثبوته على المقرر إن أراد إنكارا مع تحقق أنه لا يسعه الإنكار فيكون إقراره بعد توجيه التقرير إليه على نفي المقصود، شاهدا على أنه لا يستطيع إلا أن يقر."(٢)

سابعاً .ضرب الأمثال :

ومن طرق التبكيت ضرب الأمثال ، وقد نصّ الزمخشريّ على أثر الأمثال في إلجام الخصم بالحجّة ، وإلزامه بالإذعان والتسليم إلى المتكلّم ، فقال : " ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ؛ حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيت للخصم الألدّ ، وقمع لسورة الجامح الأبي .."(٣)

وممّا جاء من ذلك قوله تعـــالى:M § ¨ © ª » ¬ ® ¯ ° ± ²
³ ´ µ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ
Ç É Ê Ë Ì Í Î Ð Ñ Ò Ó Ô

---

(١) صفوة التفاسير ٣ / ٩٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٨٠ .

(٣) الكشاف ١ / ١٠٩ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٣٤٤ .

(& % $ # " ! Þ Ý Ü Ú Ù Ø × Ö

98 7 6 53 2 1 0 / . - , + *)

: ; = > ? @ L الحج:٧٢- ٧٣

فهذا مثل جامع لوصف حال ما عبد من دونه تعالى وحال المشركين(١) . جاء لغرض إبطال مذهبهم في عبادة من دونه تعالى عمّا يشركون بعد ذكر عبادتهم ما لا دليل على عبادته(٢) " وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته ."(٣)

قال السيد قطب مفسرا :" كل من تدعون من دون الله من آلهة مدعاة . من أصنام وأوثان ، ومن أشخاص وقيم وأوضاع ، تستنصرون بها من دون الله ، وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النصر والجاه كلهم (لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا به) ... والذباب صغير حقير؛ ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا يقدرون ولو اجتمعوا وتساندوا على خلق هذا الذباب الصغير الحقير!... والآلهة المدّعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه ، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً! ... ويختم ذلك المثل المصور الموحي بهذا التعقيب :(ضعف الطالب والمطلوب)

المِبحث الثاني

التبكيت بالأساليب الخبريّة

أولاَ .التبكيت بالأساليب الخبرية

من الأساليب النحويّة الّتي أفادت هذا المعنى في القرآن الكريم الأسلوب الخبري، وسأتناول دراسته في ها الموضع ، على النحو الآتي :

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٧ / ٢٤٣ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٣ / ٥٩ ، واللباب في علوم الكتاب ١٤/ ١٤٩.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٣٥٩ .

.التبكيت بالجملة الاسمية :

استعمل التبكيت بالجملة الاسميّة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، منها ما جاء في قوله تعالى :M _ ` a b c d
e f g h i j k l m n o p q
r s L التوبة: ٣٥

ذكر الرازي في دلالة الجملة الاسمية (هذا ما كنزتم لأنفسكم) وجهين(١) :
الأوّل ـ أنّها تفيد تعظيم الوعيد ، فهم يعذّبون بما كنزوه من درهم أو دينار ، أو ما غير ذلك.

والثاني ـ أنّها تفيد تعظيم التبكيت ، في أن يقال لهم ذلك؛ إذ لم يؤثروا به رضا ربّهم، ولم يقصدوا بالإنفاق منه نفع أنفسهم ، والخلاص به من عقاب ربّهم ، فصاروا كأنّهم ادّخروه؛ ليكون لهم عقاباً لهم وعذاباً .

وهي جملة اسمية، جاء المبتدأ فيها اسم إشارة للقريب يشير إلى سبب عقابهم وعذابهم (ما كنزتم لأنفسكم) الّذي جاء خبرا عن المبتدأ . وهي جملة تبكيتيّة جاءت في سياق كلام، فيه وعيد شديد للمعاندين وتوبيخ لهم ، ومن هنا كانت هذه الجملة تفيد تعظيم الوعيد والتبكيت . كما نصّ ابن عاشور على أنّ فيها معنى التنديم(٢). وذكر الشوكاني أنّ فيها معنى التهكم والتوبيخ(٣).

وقول تعالى: M À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë
Ì L الطور:١٣-١٤

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٠ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٠ / ٧٩ .

(٣) ينظر : فتح القدير ٢ / ٥١٩ .

فالجملة الاسميّة (هذه النار ...) تقال لأهل النار تبكيتاً ووتوبيخاً وتقريعاً لهم(١). وهي جملة جاء المبتدأ فيها اسم إشارة للقريب ، والمشار إليه نارجهنّم التي وقعت خبرا عنه ، موصوفة بصفة تبيّن حالهم في الدنيا ، هي الاسم الموصول مع صلته (الّتي كنتم بها تكذّبون). والمعنى " هذه نار جهنم التي كنتم تهزءون وتكذبون بها في الدنيا."(٢)

وجاءت الجملة الاسميّة جواباً على إنكارهم وتبكيتاُ لهم عليه في قوله تعالى:

M أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ L
الصافات:١٦ـ ١٨

فقد أمر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) أن يجيب على تساؤلهم بالإيجاب ، ويعطف عليه الجملة الاسميّة (أنتم داخرون) ، أي : صاغرون ، لتبكيتهم(٣) . وهي جملة حاليّة ابتدأت بضمير المخاطبين المنفصل (أنتم) مخبراً عنه بخبر يدلّ على صغارهم (داخرون) ، معناها :"تبعثون بعث إهانة مؤذنة بتقريب العقاب لا بعث كرامة."(٤) ولا يخفى ما في التعبير بالجملة الاسميّة في هذا الموضع من أثر في قوّة المعنى والدلالة على تحقّق وقوعه ، واستمرار صفة الخبر فيهم ؛ فمن المعروف ما تدلّ عليه الجملة الاسميّة من ثبوت معناها واستقراره . فلو كان التعبير بالجملة الفعليّة (ستكونون داخرين) ؛ لاحتمل أن يكون صغارهم وقت البعث الّذي تساءلوا عنه فحسب ، لكنّ معناه على الثبوت والاستمرار، فكان مؤدّاه بالجملة الاسميّة (وأنتم دارخون).

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٨ / ١٤٥ ، وتفسير الجلالين ١ / ٦٩٧ ،والتحرير والتنوير ٩ / ٣٢٢ ، وأضواء البيان ٧ / ٤٥٢ .

(٢) صفوة التفاسير ٣ / ٢٦٤ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٧ / ١٨٧ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠ .

وقوله تعالى : M Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ù Ú Û Ü
Ý ß à á â ã ä å L آل عمران: ١٦٥

فقد أمر النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) ــ أن يجيب على قولهم : (أنّى هذا) منكرين ما أصابهم من المصائب بأنّه من عند أنفسهم ، فالمعنى أنّ " هذا الانهزام إنما حصل بشؤم عصيانكم ."⁽¹⁾ ونصّ أبو السعود على أنّه تعالى (قل هو من عند أنفسكم) " أمر لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد ، إثر تحقيق فساد ، بالإنكار والتقريع ، ويبكّتهم أنّ ما نالهم إنّما نالهم من جهنّم بتركهم المركز ، وحرصهم على الغنيمة. وقيل : باختيار خروجهم من المدينة ...."⁽²⁾ ابتدأت الجملة التبكيتيّة بالضمير المنفصل (هو) ، وهو ضمير عن اسم الإشارة (هذا) الذي تساءلوا عنه ، وهو يشر إلى ما اصابهم .وجاء الإخبار عنه بذكر موضعه (من عند أنفسكم) ، وقد أضيف ضمير الممخاطبين في الخبر إلى كلمة (أنفس) ، وهو الموضع الّذي صدر منه ما هم متسائلون عنه.

وقد وردت الجملة الاسميّة الحاليّة لغرض التبكيت في قوله تعالى : M t
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ L البقرة: ٤٤

بالجملة الحاليّة (وأنتم تتلون الكتاب) الّتي ابتدأت بضمير المخاطبين (أنتم) المخبرعنه بالمضارع الّذي يفيد التجدّد والتكرار في وقوع الحدث ، جاء التبكيت والتقريع⁽³⁾ ، قال الشوكاني على أنّ هذه الجملة " مشتملة على أعظم تقريع وأشدّ توبيخ ، وأبلغ تبكيت . أي : كيف تتركون البرّ الّذي تأمرون الناس به ، وأنتم من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل ، وشدّة الوعيد عليه ، كما ترونه في الكتاب الّذي تتلونه ، والآيات الّتي تقرأونها من التوراة."⁽⁴⁾ فالتبكيت هنا جاء بطريق

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٦ / ٣٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٢ / ١٠٩ .

(٣) ينظر : الكشاف ١ / ، ١٦٢ ، وإرشاد العقل السليم ١ / ٩٧ .

(٤) فتح القدير ١ / ٧٧ .

التقريع والتوبيخ لهم على فعلهم هذا ، مع " الوعيد على العناد ، وترك البرّ ، ومخالفة القول العمل ."(١)

وقوله تعالى : M قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ £ ¤ ¥ ¦ L البقرة: ١٣٩

فجملة الحال هنا (وهو ربنا وربكم)، جاءت في سياق الاستفهام الإنكاري (أتحاجّوننا)، ومعناها " أنّه لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من يشاء من عباده ... فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا، كأنّه ألزمهم على كلّ مذهب ينتحلونه إفحاماً وتبكيتاً . "(٢)

كما ورد التبكيت مع التقريع والتحسير في قوله تعالى : Mوَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º L الأنفال: ٥٠ ــ ٥١

جاءت الجملة الاسميّة (ذلك بما قدّمت أيديكم) مبتدئة باسم الإشارة (ذلك) ، وقد أشار إلى العذاب الّذي يلاقونه ، مبيّناً لهم أنّهم السبب في ذلك العذاب ، وقد ذكر الآلوسيّ أنّ الغرض من هذه الجملة هو التقريع والتبكيت ، فقال : " ومرجع ذلك في الآخرة إلى تقريع الكفّار وتبكيتهم ؛ بأنّه لا سبب للعذاب، إلاّ من قبلهم ، كأنّه قيل: إنّ ذلك العذاب إنّما نشأ من ذنوبكم الّتي اكتسبتموها لا من شيء آخر."(٣)

وذهب ابن عاشور أنّها جاءت للتشفّي والتنكيل، فقال : "والجملة مستأنفة لقصد التنكيل والتشفي."(٤)

---

(١) أنوار التنزيل ١ / ٣١٦ .

(٢) أنوار التنزيل ١ / ٤١٣ ، وينظر : إرشاد العقل السليم ١ / ١٦٩ .

(٣) روح المعاني ١٧ / ١٢٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٩ / ١٣٢ .

وجاءت الجملة الاسميّة لتبكيت الغائب ، من ذلك ما ورد في قوله تعالى : 3M
4 5 6 7 8 9 : ; < = > L البروج: ٦ ــ ٧

فذكر حضورهم ومشاهدتهم إحراق المؤمنين بالجملة الاسميّة الحاليّة (هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) . ونصّ الشنقيطي على أنّ في " هذا زيادة في التبكيت بهم ، إذ يرون هذا المظهر بأعينهم ، ولم يشفقوا بهم ، ولم يعتتبروا بثباتهم ."(١) ومن البيّن أنّ الأسلوب الخبري في هذا الموضع ، أفاد بالتبكيت بالمتحدّث عنهم ، فالمبكَّت به في هذا الموضع ليس حاضراً مخاطباً ، وإنّما هو غائب متحدّث عنه ، مرويّ عنه فعله الّذي بلغ الغاية في القبح والظلم . وفي هذا الأسلوب نرى تقديم متعلّق الخبر (على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) عليه ، إذ إنّ الأصل في الجملة : وهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين . فتقدّم متعلّق الخبر عليه ؛ فهو الفعل الّذي كان تبيكتهم عليه ، وهو فعلهم الّذي فعلوه بالمؤمنين . وذكر ابن عاشور أنّ الجملة الحاليّة تدلّ على "تفظيع ذلك القعود وتعظيم جرمه إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين لا يرأفون في ذلك ولا يشمئزون ."(٢)

وقوله تعالى:M ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ¾ ¿ À
Á Â Ã Ä Å Æ Ç É Ê Ë Ì Í Î L
البقرة: ٦١

فالجملة الاسميّة (ذلك بما عصوا...) ابتدأت باسم الإشارة (ذلك) ، وهو يشير إلى ما أصابهم من الذلّة والمسكنة ،وأخبر عنها بخبر يبيّن السبب فيه ، وهي جملة مؤكّدة لما قبلها ، من قوله تعالى : (ذلك بأنّهم كانوا يكفرون ....) فهي وإن اختلف لفظها ، فمعناها هو معنى ما قبلها ، فكفرهم وقتلهم الأنبياء معصية لخالقهم ، والغرض من هذا الأسلوب في التوكيد هو التبكيت . قال الرازي : " وهو بمنزلة أن يقول الرجل لعبده ، وقد احتمل منه ذنوباً سلفت منه، فعاقبه عند آخرها : ذلك بما

---

(١) أضواء البيان ٨ / ٤٨٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠ / ٢١٨ .

عصيتني وخالفت أمري . هذا بما تجرّأت عليّ ، واغتررت بحلمي ، هذا بكــذا . فيعدّ عليه ذنوبه بألفاظ مختلفة تبكيتاً."(١)

وبالجملة الاسميّة المنفيّة جاء التبكيت في قوله تعالى : M 1 2 3 4
5 6 7 8 : ; < = > ? @ A L غافر: ١٨

جاء نفي القريب والحبيب والشفيع عن الظالمين بأداة النفي (ما) ، وتقدّم الخبر للاهتمام به في سياق الترهيب والإنذار ، وتأكّد المبتدأ بجرّه بــ(من) الزائدة الدالّة على الاستغراق في جنس ما دخلت عليه ، لعموم المنفيّ عنهم . ووصف المعطوف على الخبر بالطاعة ، وبيّن السبكيّ النكتة في ذكرها عند ذكر الشفيع (ولا شــفيع يطاع)، قائلاً : " وهي أنّه لمّا ذكر الظالمين ، وشأن الظالمين في الــدنيا القــوّة ، والشفعاء المتكلّم عنهم بمنزلة من يأمر فيطاع ، نفى عنهم ذلك في الآخرة تبكيتاً لهم وحسرة، فإنّ النفس إذا ذكرت ما كانت عليه وزال عنها ، وخوطبت به ، كان أشدّ عليها."(٢)

وقوله تعالى : M 5 6 7 8 9 : ; < > ? @ A
B D E F G H I K L M N O L المجادلة: ٢

فالجملة الّتي جاءت خبراً عن الاسم الموصول (الّذين) ، جاءت لغرض التبكيت والتوبيخ، على ادّعائهم هذا كذباً منهم ، فما نساؤهم بأمّهاتهم(٣) . قال ابن عاشور :" وهذا تمهيد لإبطال أثر صيغة الظهار في تحريم الزوجة، بما يشير إلى أن الأمومة حقيقية ثابتة لا تصنع بالقول إذ القول لا يبدل حقائق الأشــياء: **] > ? @ A**
B Z أي فليست الزوجات المظاهر منهن بصائرات أمهات بذلك الظهار لانعدام

---

(١) مفاتيح الغيب ٣ / ٩٦ .

(٢) فتاوى السبكي ١ / ١٢٣ .

(٣) ينظر : فتح القدير ٥ / ١٨٢ .

حقيقة الأمومة منهن ؛ إذ هن لم يلدن القائلين: أنت علي كظهر أمي، فلا يحـــرمن عليهم ... فالتحريم بالظهار أمر باطل لا يقتضيه سبب يؤثر إيجاده."(١)

ويأتي التبكيت بالجملة الاسميّة المؤكّدة بأسلوب الحصر بـــــ(إلاّ) ، بطريقــة مجاراة الخصم لغرض تبكيته وإسكاته ، فالمتكلّم يساير خصمه في فكرته ؛ ليؤكّــد أنّ هذه الفكرة لا تمنع الأمر الّذي ينكره الخصم،جاء ذلك في قوله تعالى:M ! "

54 3 2 0 / . - , + *) (' & % $ #

6 7 8 9 : ; < = > ? @ L إبراهيم: ١١

فقد ذكر القزويني أنّ هذا من باب "مجاراة الخصم للتبكيت والإلزام والإفحام ، فإنّ من عادة من ادّعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامــه على وجهه ، كما إذا قال لك من يناظرك : أنت من شأنك كيت وكيت . فتقــول : نعم، أنا من شأني كيت وكيت ، ولكن لا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت انّه يلزم ، فالرسل ــ عليهم السلام ــ كأنّهم قالوا : إنّ ما قلتم : من أنا بشر مثلكم ، هو كمــا قلتم ، ولا ننكره ، ولكنّ ذلك لا يمنع أن يكون الله قد منّ علينا بالرسالة."(٢)

ومن المواضع التي جاءت فيها الجملة الاسمية التي يراد بها التبكيــت مؤكّــدة بـــ(إنّ) قوله تعالى: M ; < = > ? @ A C D F G H

I J K L M N O L سبأ: ٢٤

وردت الجملة الاسميّة المؤكّدة بـــ(إنّ) بعد ما يدلّ على من هو علـــى الهـــدى ، فكان الكلام مسكتا للخصم ، والمعنى :" أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ، ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة (لعلى هدى) أي : في متابعة ما ينبغي أن يعمل مستعلين عليه (أو في ضلال) عن الحق (مبين) ."(٣) قال البيضاوي : " وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدالّ علـــى

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ١٢ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ١٢٣ ــ ١٢٤ .

(٣) السراج المنير ٣ / ٢٥٠ .

من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح ؛ لأنـــه فـــي صـــورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب ."(١)

يتّضح ممّا سبق أنّ الجملة الاسميّة التبكيتيّة جاءت لإثبات حقيقة أنكرها الخصم ، أو يقرّ بها المتكلّم والمخاطب دليلاً على أمر ينكره ، أو توكيدها ، أو إثبات نســبة السبب فيما وقع فيه الخصم من مصائب أو عقاب إليه، أو نفي اعتقاد أثبته الخصـــم أو اعتقد به .

.التبكيت بالجملة الفعلية :

جاء التبكيت بالجملة الفعليّة الّتي ابتدأت بالفعل الماضي ، وهو ما نجده في قوله تعـــالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 L آل عمران: ١٨٧

فقد أخبر تعالى عن الّذين أوتوا الكتاب إذ أخذ الله تعالى منهم ميثاقهم فـــي أن يظهروه للناس ولا يكتموه ، أخبر عنهم أنّهم أخلفوا ميثاقهم ، فقـــال عـــزّ وجـــلّ : (فنبذوه وراء ظهورهم) وفي هذا الإخبار تبكيت " لهم ، أي : لم يعملوا به ، ولـــم يتدبّروا آياته ."(٢) و "طرحوه ، وضيَّعوه ، ولم يُراعوه ، ولـــم يلتفتـــوا إليـــه ."(٣) فالتبكيت في هذا الموضع ورد بإثبات ما فعله الخصم في زمن مضى ، مـــن فعـــل استحقّ الإنكار عليه والتوبيخ به .

وقال تعـــالى :M D E F G H I J K L M N O P Q R S T L الأنبياء:٦٢- ٦٣

قال الزمخشريّ : " هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني . والقول فيه أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه

---

(١) أنوار التنزيل ٤/٤٠٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن ٥٢١ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٦ / ١٠٤ .

لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم ، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبت هذا وصاحبك أمّيّ لا يحسن الخطّ ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة ، فقلت له : بل كتبته أنت ، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به ، لا نفيه عنك وإثباته للأمّيّ أو المخرمش ، لأنّ إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر."(١)

وقال الغرناطي : " قصد إبراهيم ــ عليه السلام ــ بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجّة عليهم .... ويدلّ على ذلك قوله : (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) ؛ لأنّه أراد به أيضاً تبكيتهم وبيان ضلالهم ."(٢) فهذا أسلوب في التبكيت جاء بإثبات فعل لمن ظهر عجزه للجميع عن القيام به ، وهو إثبات يلزم الخصم بالإقرار بهذا العجز ونفيه عمّه أثبت له الفعل ؛ إذ إنّه يعلم به ويقرّ به، ولا يظهره ولا يرغب في الاعتراف به ؛ لأنّ في هذا الاعتراف إعلاناً منه على انهزامه وبطلان دعواه .

وقال تعالى:M z } بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا
a « ¬ ¦ ¯ ° ± 2 3 ´ µ ¶ ¸ 1 º L لقمان: ١٠

فقد جاء الجملة الفعليّة (خلق السماوات ....) للتدليل على " عزّته تعالى ، الّتي هي كمال القدرة ، وحكمته التي هي كمال العلم ، وتمهيد وقاعدة التوحيد ، وتقريره ، وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله . "(٣) فبالجملة الفعليّة الّتي ابتدأت بالفعل الماضي جاء إثبات حقيقة حصلت ، يقرّ بها الجميع ، تتجلّى فيها قدرته تعالى وعظمته لتبكيت المشركين به ؛ إذ أشركوا في عبادتهم أوثاناً لا قدرة لها على شيء، حتّى على نصرة أنفسها .

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٥ ، وينظر : البحر المحيط ٦ / ٣٠٣ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٩٩ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٨ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧ / ٧٠ .

وبالفعل الماضي المصدّر بـــ(قد) جاء تبكيت أصحاب النار ، في قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 7 8 9 : ; < = > ? L الأعراف: ٤٤

ففي هذه الآية إخبار عن أصحاب الجنّة بمناداتهم لأصحاب النار بأنّهم قد وجدوا ما وعدهم ربّهم من النعيم حقّاً ، متسائلين عن حالهم ، إذ وجدوا ما وعدوا به من الشقاء حقّاً . وهذا الإخبار منهم لهم جاء لغرض تبكيتهم وتحسيرهم بإثبات ما وجده أصحاب الجنّة من النعيم الّذي وعدهم الله تعالى به ، وقد تصدّرت بالفعل الماضي المتصدّر بـــ(قد) التحقيقية ؛ لتوكيد هذا الإثبات ، في سياق ذكر لمناداة أصحاب الجنّة لأصحاب النار "وهذه المناداة لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به ، بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم . "(١) "والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ . "(٢) ونلحظ من هذا أنّ التبكيت هنا جاء لتحسيرهم وتنديمهم، ليكون توبيخهم بعد ذلك وتقريعهم بالاستفهام . فالتبكيت هنا يتبعه توبيخ وتقريع .

وبالجملة الفعليّة المبدوءة بالفعل المضارع ، جاء تبكيت الكفّار بإفحامهم بالحجّة، في قوله تعالى : M d e f g h j k l m n o p q r s t u v x y z { | L يس:٧٨- ٧٩

إذ جاء تبكيتهم بالجواب على سؤالهم عن إحياء العظام بعد أن أصبحت رميماً ، بقوله تعالى: (قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة) ، فأفحمهم ، وألزمهم الحجّة ، فلا شكّ " أنّ الإحياء بعد أهون من الإنشاء قبل ، فمن قدر على الإنشاء ، كان على الإحياء أقدر ."(٣) فالمعنى : "قل يا محمد تخريسا وتبكيتا لهذا الكافر وأمثاله :

---

(١) يقضة أولي الاعتبار ٦٩ ، وينظر : فتح القدير ٢ / ٢٠٧ .

(٢) فتح القدير ٢ / ٢٠٧ .

(٣) روح المعاني ٢٣ / ٥٤ .

يخلقها ويحييها الذي أوجدها من العدم ، وأبدع خلقها أول مرة من غير شيء ، فالذي قدر على البداءة ، قادر على الإعادة."(١)

وجاءت الجملة الفعليّة المبتدئة بالمضارع في سياق الإخبار عن التبكيت، في قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - .
/ 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = L
الأحزاب:٧ ــ ٨

فسؤال الصادقين عن صدقهم، وهو يعلم أنّهم صادقون؛ تبكيتاً لمن أرسلوا إليهم ، قال البغويّ: " يقول أخذنا ميثاقهم؛ لكي يسأل الصادقين، يعني النبيّين عن تبليغهم الرسالة. والحكمة في سؤالهم، مع علمهم أنّهم صادقون تبكيت من أرسلو إليهم."(٢)

وورد هذا المعنى في قوله تعالى : M » ¬ ® ¯ ° 2
3 ´ µ ¶ ¸ 1 L العنكبوت: ١٣

فقد أخبر الله تعالى أنّه سيسألهم يوم القيامة عن فعلهم ، وهذا السؤال " سؤال تقريع وتبكيت."(٣) ونصّ ابن عادل الدمشقيّ على أنّ هذا السؤال هو " سؤال توبيخ وتقريع ."(٤) وذكر ابن عاشور أنّ جملة الإخبار بالسؤال : (وليسألُنّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون) هي " تذييل جامع لمؤاخذتهم بجميع ما اختلقوه من الإفك والتضليل سواء ما أضلوا به أتباعهم وما حاولوا به بتضليل المسلمين فلم يقعوا في أشراكهم، وقد شمل ذلك كله لفظ الافتراء، كما عبر عن محاولتهم تغرير المسلمين بأنهم فيه كاذبون."(٥)

---

(١) صفوة التفاسير ٣ / ٩٧ .

(٢) معالم التنزيل ٣ / ٥٠٨ ، وينظر : أنوار التنزيل ٤ / ٣٦٥ .

(٣) روح المعاني ٢٠ / ١٤٢ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ٣٢٤ ، وينظر : صفوة البيان ٢ / ٣٣٤ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٠ / ١٤٦ .

وقوله تعالى : M ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã
Ä Å Ç È É Ê Ë L النحل: ٩٣

وقد نصّ البيضاوي على أنّ هذا السؤال " سؤال تبكيت ومجازاة ."(١) وقد جاء بأسلوب الخطاب ، والسؤال سؤال تبكيت لمن ضلّ ، ومجازاة لهم عن ضلالهم ، ولمن اهتدى عن هدايتهم ، كلاّ يجزيه بما يستحقّه .

وقوله تعالى : M ¿ À Á Â Ã Ä Å Ç È É Ë
Ì Í Î Ï Ð L المجادلة: ٦

فالله تعالى " يخبرهم بما عملوه في الدنيا من الأعمال القبيحة ؛ ...تبكيتاً ، ولتكميل الحجّة عليهم ."(٢) و " تخجيلاً لهم ،وتوبيخاً ، وتشهيراً بحالهم ."(٣) وذكر ابن عاشور أنّ في جملة الإنباء (فينبّئهم بما عملوا) تهديداً بفضح نفاقهم يوم البعث(٤) .

.التبكيت بالجملة الشرطية :

وقد يرد الشرط دالاّ على التبكيت ، وقد أشار إلى ذلك الزمخشريّ ، إذ قال : " على أنّ الشرط في معنى التبكيت والإلزام ، كقول الأجير : إن كنت عملت لك فأعطني حقّ ."(٥) ووردت الجملة الشرطيّة دالّة على هذا المعنى في مواضع من القرآن الكريم ، منها ما جاء في قوله تعالى : M « ¬ ® ¯ ° ± ² ´ ¶
¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ L مريم: ٣٥

---

(١) أنوار التنزيل ٣ / ٤١٨ .

(٢) فتح القدير ٥ / ١٨٦ .

(٣) الكشاف ٤ / ٤٨٨ ، وينظر : البحر المديد ٧ / ٥١١ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٢ .

(٥) الكشاف ٢ / ٥١٥ .

جاءت الجملة الشرطيّة متصدّرة بـــ(إذا) الشرطيّة الدالّة على حتميّـــة تعلّـــق جوابها بشرطها، وشرطها ماض تعدّى إلى مفعوله (أمرا) الذي جاء نكرة لعمومه. قال الزمخشريّ: " كذّب النصارى وبكّتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه ، وأنّه ممّـــا لا يتأتّى، ولا يتصوّر في العقول ...ثمّ بيّن إحالة ذلك بأنّ من أراد شيئاً من الأجناس كلّها أوجده بـــ(كن)، كان منزّهاً عن شبه الحيوان الوالد ."(١) ونصّ أبو الســـعود على أنّ في هذه الجملة تبكيتاً " لهم ببيان أنّ شأنه تعالى إذا قضى أمراً من الأمور أن يعلّق إرادته، فيكون حينئذ بلا تأخير، فمن هذا شأنه كيف يتوهّم أن يكـــون لـــه ولد."(٢)

وفي سياق الجملة الشرطية، جاء تبكيت الكافرين على هزئهم بالحقّ، جاء ذلك في المواضع الآتية:

M ! " # $ % & ' |) * + , - . L المائدة: ٥٨

M ! " # $ % & ' ( ) * + , -

. / 0 1 2 L الأنبياء: ٣٦

M وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ L الفرقان: ٤١

M s t u v w x y | أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ L الجاثية ٩

نصّ أبو القاسم بن محمّد على معنى التبكيت في الآيات، قائلاً: " فقد عظّم تبكيتهم، ونبّه على خبثهم من حيث إنّه وصفهم بعد العلم بها على صحّتها؛ بـــأنّهم يهـــزأون بها."(٣)

كما ورد التبكيت بالجملة الشرطية ، الّتي تصـــدّرت بـــــ(إن) ، فـــي قولـــه تعـــالى:M S T U V W X Y Z | \ ] ^ _ ` a | c d f g h i L البقرة: ١٣٧ ذكر الزمخشريّ أنّ الآية " من باب التبكيت ؛ لأنّ دين الحقّ واحد، لا مثل له، وهو دين الإسلام ...والتقدير: أي: فإن حصّلوا ديناً آخر مثل دينكم، مساوياً له في الصحّة والسداد، فقد اهتدوا ... ونحو هذا قولك للرجل الّذي تشير عليه: هذا هو الرأي الصواب، فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به، وقد علمت أنّه لا أصوب من رأيك، ولكنّك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أنّ ما رايت لا رأي وراءه. "(١) وهذا أسلوب في نقض ما يريد الخصم إثباته ، ودعوته إلى ما يريد المتكلّم من الصواب ، ويقتضي علمه ويقينه بالصواب الّذي يدعو إليه وبطلان ما يريده الخصم .

---

(١) الكشاف ٣ / ١٨ ، وينظر : فتح القدير ٣ / ٣٣٣ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٥ / ٢٦٥ . --

(٣) المفردات في غريب القرآن ٥٤٢ .

وقوله تعالى: M o qp r s t u v w x y z {

| } ~ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ § ¨ © ª «

¬ ® L الأعراف:١٩٢ - ١٩٣ والخطاب في الجملة الشرطيّة موجّه للمشركين ، التفاتاً عن الغيبة ، وفي هذا الأسلوب " إيذان بمزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت، أي: وإن تدعوا الأصنام ــ أيّها المشركين إلى أن يرشدوكم إلى ما تحصلونه به المطالب، أو تنجون به عن المكاره، لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم ولا يقدرون على ذلك. "(٢)

كما ورد الشرط بــ(مَن) ؛ لغرض التبكيت في قوله تعالى : M ? @ A B C D E F G H I J K L L آل عمران: ٨٥

قال الزمخشري : " ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه: هذا هو الرأي الصواب ، فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به . وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ، ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه."(٣)

---

(١) الكشاف ١ / ٢٢١ ، وينظر : البحر المحيط ١ / ٥٨٢ .

(٢) روح المعاني ٩ / ١٤٣ .

(٣) الكشاف ١ / ٢٢١.

المبحث الثالث

التبكيت بالأساليب الإنشائيّة

أولا .التبكيت بأسلوب الأمر والنهي :

يأتي التبكيت بأسلوب الأمر لإظهار عجز الخصم ، إذ يعلم المتكلّم ، وهو يوجّه الأمر إليه أنّه غير قادر على تنفيذه ، وقد نصّ البلاغيّون على أنّ الأمر يأتي لتعجيز المخاطب(١).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: M @ A B C D E F G
H I J K L M N O L البقرة: ٣١

فالأمر موجّه إلى الملائكة لتبكيتهم ، وإظهار عجزهم عن أمر الخلافة(٢). قال الزمخشريّ: "وإنّما استنبأهم ، وقد علم عجزهم عن الإنباء، على سبيل التبكيت ."(٣) كما أنّ الملائكة المأمورين تعلم أنّ الآمر عالم بذلك، قال ابن عاشور: "والأمر في قوله: (أَنْبِئُونِي) أمر تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أن الآمر عالم بذلك فليس هذا من التكليف بالمحال كما ظنه بعض المفسرين. واستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجاز، ثم إن ذلك المعنى المجازي يستلزم علم الآمر بعجز المأمور وذلك يستلزم علم الآمر بالمأمور به."(٤)

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى : M قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ £ ¤
¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º
» ¼ L الأحقاف: ٤

---

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٤٢ .

(٢) ينظر : مدارك التنزيل١ / ٣٧ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٨٦ ، و فتح القدير ١ / ٦٥ .

(٣) الكشاف ١ / ١٥٥ .

(٤) التحرير والتنوير ١ / ٣٩٨ .

قال الشوكاني : " هذا تبكيت لهم وإظهار لعجزهم وقصورهم عن الإتيان بذلك."(١) وهو تبكيت متأتّ من أمرهم بما هو غير متاح لهم وتعجيزهم به . قال الشنقيطي " فقوله: أروني، يراد بها التعجيز والمبالغة في عدم خلقهم شيئا، وعلى أن (مَا) استفهامية، (وَذَا) موصولة.

فالمعنى أروني ما الذي خلقوه من الأرض، وعلى أن (مَا) و (ذَا) بمنزلة كلمة واحدة يراد بها الاستفهام، فالمعنى: أروني أي شيء خلقوه من الأرض؟"(٢)

وأشار إلى أنّ هذا المعنى ورد في آيات عديدة ،منها قوله تعالى:M = <
Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ?
فاطر: ٤٠ L _ ^] \ [Z Y X W U T S R

وقوله تعالى : M « ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Å Æ Ç
لقمان: ١١ L Ê É È

وجاء تبكيتهم أيضاً بطلب دليل نقلي على ما يدّعونه من باطل ، من ذلك ما ورد في قوله تعالى : M © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ
القصص: ٤٩ L ¸ ¶

فالإتيان " بما هو أهدى من الكتابين أمر بيّن الاستحالة ، فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام ."(٣) " وإيراد كلمة (إن) في قوله تعالى :(إن كنتم صادقين) أي : في أنّهما سحران مختلفان ، مع امتناع صدقهم نوع تهكّم بهم ."(٤)

---

(١) فتح القدير ٥ / ١٤ .

(٢) أضواء البيان٧ / ٢١٣ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧ / ١٨، وينظر : روح المعاني ٢٠ / ٩٢ .

(٤) روح المعاني ٢٠ / ٩٢ .

وقولـــه تعـــالى : M 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C E F G H I J K L L آل عمران: ٩٣

جاء الأمر موجّها إلى النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بأن يـــأمرهم بـــأن يـــأتوا بالتوراه ليتلوها؛ ليبرهنوا على صدقهم ، فهو أمر " بأن يحاجّهم بكتابهم ويبكّتهم بما هو ناطق به من أنّ تحريم ما حرّم الله عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم ، لا تحريم قديم كما يدّعونه ، فروي أنّهم لم يجسروا على إخـــراج التـــوراة ، وبهتـــوا وانقلبوا صاغرين ، وفي ذلك الحجّة البيّنة على صدق النبيّ ــ صـــلّى الله عليـــة وسلّم ــ وعلى جواز النسخ الّذي ينكرونه ."(١) فهو تبكيت لهم بغلبتهم بالحجّة بمـــا يؤمنون به ويوقنون ، فكان ردّهم عليه بكتهم ما طلب مـــنهم ، وبهتـــانهم ؛ لأنّهـــم يعلمون أنّهم إذ لبوا ما طلب منهم سيغلبون ، و هم بكتمانهم هذا وعدم اســـتطاعتهم تلبية الطلب كانوا صاغرين .

فالتبكيت جاء بالأمر بما يعجز المخاطب عن تلبيته ، لا لعدم قدرته عليه ، وإنّما لعلمه أنّ في استجابة هذا الأمر دليلاً على صدق الخصم وكذبه في ادّعائه ، وهو ما يؤدي إلى بهتان المخاطب وغلبته . والتبكيت بهذا الأسلوب يكون للخصـــم الّـــذي يدّعي الباطل ويحتذي الكذب من القول .

كما بكّت الكافرين بطلب البرهان على دعواهم ؛ فمن " خالف الله ورسوله ، فلا برهان له أصلاً ، وإنّما كلّف الإتيان بالبرهان تبكيتاً وتعجيزاً . "(٢) كما جاء في المواضع الآتية:

قال تعالى : M 1 º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ä Å Ç È É Ê Ë Ì Í L البقرة: ١١١

---

(١) الكشاف ١ / ٤١٣ ، وينظر : أنوار التنزيل ٢ / ٦٦ ، وإرشاد العقل السليم ٢ / ٥٩ .

(٢) فتح الباري ٣٥١ .

وهو أمر تبكيتي ، قال أبو السعود : " أي أحضروا حجّتهكم على اختصاصــكم بدخول الجنّة إن كنتم صادقين في دعواكم . "(١)

وقال تعالى : M Ç È É Ê Ë Í Î Ï Ñ Ò Ó Ô Õ Ö
× Ù Ú Û Ü Ý ß à á L الأنبياء: ٢٤

وقال عزّ وجلّ :M ! " # $ % & ' ( ) * , - . 0
1 2 3 4 5 6 L النمل: ٦٤

قال أبو السعود : " [Ç È É Z أمر له ــ عليه الصلاة والسلام ــ بتبكيتهم إثر تبكيت . أي : هاتوا برهاناً عقليّاً أو نقليّاً يدلّ على أنّ معه تعالى إلهاً لا على أنّ غيره تعالى يقدر على شيء ممّا ذكر من أفعاله ..."(٢)

وجاء تبكيت المشركين بأمرهم بتسمية شركائهم وتعرفيهم، في قوله تعالى:
M ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ » ¼ ½ ¾ ¿ Á Â Ã Ä Å Æ
Ç È É Ê Ë Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Ö × Ø Ù Ú Û
Ü Ý L الرعد: ٣٣

قال أبو السعود : " وقوله تعالى : (قل سموهم) تبكيت لهم إثر تبكيت ، أي : سمّوهم من هم ؟ وماذا أسماؤهم ؟ أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ."(٣) وقال الشوكاني : " وفي هذا تبكيت لهم وتوبيخ ؛ لأنّه إنّما يقال هكذا في الشيء المستحقر الّذي لا يستحقّ أن يلتفت إليه . فيقال : سمّه إن شئت . يعني أنّه أحقر من أن يسمّى."(٤)

---

(١) إرشاد العقل السليم ١ / ٤٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٦ / ٢٩٦ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٥ / ٢٤ .

(٤) فتح القدير ٣ / ٨٥ .

وبالأمر بالسؤال جاء التبكيت في قوله تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L النحل: ٤٣

وفي سورة الأنبيــاء :M l m n o p q r s t u v w x y z { L الأنبياء: ٧

ففي أمر الكفرة بسؤال أهل الذكر تبكيت لهم ، قال أبو السعود : " [*** + , - . / 0** Z تلوين للخطاب ، وتوجيه له إلى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير إثر تحقيق الحقّ على طريقة الخطــاب لرســول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ؛ لأنّه الحقيق بالخطاب في أمثال تلك الحقائق الأنيقة ..."(١)

وفسر الآلوسي التبكيت في الجملة الشرطية بقوله : " وفي الشرط معنـــى التبكيـــت والإلزام ، كما في قول الأجير : إن كنت عملت لك فأعطني حقي ، فإنّ الأجير لا يشكّ في أنه عمل، وإنّما أخرج مخرج الشكّ ؛ لأنّ ما يعمل به من التسويف معاملة من يظنّ بأجيره أنّه لم يعمل، فهو في ذلك يلزمه مقتضى ما اعترف به من العمل، ويبكته بالتقصير مجهّلا إياه ."(٢)

وجاء تبكيت اليهود بأمرهم بتمنّي الموت في قوله تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L البقــرة: ٩٤

والمعنى : " فتمنّوا الموت بالقلب أو اللسان ، أو باللسان خاصّة ، وهــذا أمــر على وجه التعجيز والتبكيت ؛ لأنّه من علم أنّه من أهل الجنّة اشتاق إليها ."(٣)

---

(١) إرشاد العقل السليم ٦ / ٥٧ ، وينظر : روح المعاني ١٧ / ١٢ .

(٢) روح المعاني ١٤ / ١٤٩ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٥٤ .

وورد تبكيت القاعدين بأمرهم بدفع الموت عنهم ، في قوله تعالى :

a ` _ ^] \ [Y X W V U T S R M

b L آل عمران: ١٦٨

جاء أمرهم بدفع الموت عن أنفسهم ؛ " تبكيتاً لهم وإظهاراً لكذبهم ."(١) والمعنى :"إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين."(٢)

كما ورد التبكيت بأسلوب النهي في قوله تعالى: W V U T S R M

L c b a ` _] \ [Z Y X المؤمنون: ٦٤-٦٥

فقد نهوا عن الجأر على سبيل التبكيت ، فهو ليس بدافع عنهم ما يريده تعالى إنزاله بهم ، " دلّ بذلك سبحانه على أنّهم سينتهون يوم القيامة إلى هذه الدرجة من الحسرة والندامة ، وهو كالباعث لهم في الدنيا على ترك الكفر والإقدام على الإيمان والطاعة ، فإنّهم الآن ينتفعون بذلك ."(٣) قال أبو السعود : " (لا تجأروا اليوم) على إضمار القول مسوقاً لردّهم وتبكيهم ولإقناطهم ممّا علّقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة والإعانة من جهته تعالى . وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله ، والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار ."(٤)

---

(١) روح المعاني ٤ / ١٢٠، وينظر : التحرير والتنوير ٢ / ٢٨٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٢٣ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢٣ / ٩٦ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٦ / ١٤٢ ، وينظر : فتح القدير ٣ / ٤٩٠ .

ـ التبكيت بالاستفهام:

وهو من الأساليب الّتي استعملها العربي لتبكيت المتلقّي ، إذ يوجّه السؤال إليه لا لقصد استخباره ، وإنّما لتعجيزه عن الجواب ، إذ يعلم بدءاً أن لا قدرة له على الجواب . وقد نصّ البلاغيّون على أنّ التبكيت غرض من أغراض الاستفهام(١) .

ومن أدوات الاستفهام الّتي جاء السؤال بها لغرض التبكيت في القرآن الكريم :

ـ الهمزة : كثيراً ما تستعمل الهمزة لأغراض الاستفهام المجازيّ ، والتبكيت أحد معانيها الّتي يخرج الاستفهام بها عن معناه الحقيقيّ إليه . ولا يقتصر بها على المخاطب حسب، بل يجوز أن يكون لغيره أيضاً(٢) .

فمن التبكيت بها للمخاطب قوله تعالى : M _ Z [\ ] ^ ` a L النازعات: ٢٧

فالخطاب في الآية لكفّار مكّة ، لغرض تبكيتهم ، قال الشوكاني : " والمقصود به التوبيخ لهم والتبكيت ؛ لأنّ من قدر خلق السماء الّي هذا الجرم العظيم ، وفيهم عجائب الصنع و بدائع القدرة ، ما هو بيّن للناظرين ، كيف يعجز عن إعادة الأجسام الّتي أماتها بعد خلقها أوّل مرّة."(٣)

وقوله تعالى : M _ 3 4 5 6 7 9 : ; L النحل: ١٧

قال أبو السعود : " وهو تبكيت للكفرة وإبطال لإشراكهم وعبادتهم للأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه تعالى . "(٤) ففي هذا التبكيت بطريق الاستفهام الإنكاري الذي يتضمن معنى النفي تعجيز لهم وإبطال لعقيدتهم الفاسدة . فبه يظهر لهم بطلان عقيدتهم وفسادها ، وأنّ الحقيقة الكبرى هي توحيد الله تعالى .

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٣٦ .

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن ١ / ٣٤ .

(٣) فتح القدير ٥ / ٣٧٨ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٥ / ١٠٤، وينظر : روح المعاني ١٤ / ١١٧ .

وقوله تعـــالى : M أَهَٰٓؤُلَآءِ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ ¨ © ª « ¬
® ¯ ° ± L الأعراف: ٤٩

فهذا " من كلام أصحاب الأعراف . أي : قالوا للكفّار مشيرين إلى المســـلمين الّذين صاروا إلى الجنّة هذه المقالة . وقد كان الكفار يقسمون في الدنيا عند رؤيتهم لضعفاء المسلمين بهذا القسم . وهذا تبكيت للكفار وتحسير لهم."(١)

ومن التبكيت بها للغائب ما جاء في قوله تعالى: M À Á Â Ã Å Æ
Ç È É Ë Ì Í Î Ï Ñ Ò Ó Ô Õ × Ø Ù Ú
Û Ü Ý Þ L الأعراف: ١٩٥

فالاستفهام هنا يفيد فقدان قدرة المدعوّيين من دون الله تعالى على الاستجابة ، وهو يفيد التبكيت(٢) . قال أبو السعود : " تبكيت إثر تبكيت مؤكد لما يفيده الأمـــر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية ..."(٣)

وقوله تعالى : M Ï Ð Ñ L الشعراء: ٢٠٤

فهذا الاستفهام " معترض للتبكيت وإنكار أن يستعجل العذاب من هو معـــرض لعذاب ، يسأل فيه النظرة وآلامها طرفة عين فلا يجاب ."(٤)

ومن الأساليب الّتي ورد فيها التبكيت بـــالهمزة ، أن يكـــون الســـؤال موجّهـــاً للمخاطب ، لغرض تبكيت غيره ، وقد ورد ذلك في قولـــه تعـــالى : M L M N
O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ `
a b c d e f h i j k l n o p q r s t u v x y
z { | L المائدة: ١١٦

---

(١) فتح القدير ٢ / ٢٠٨ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٩ / ١٤٤ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٣ / ٣٠٦ .

(٤) روح المعاني ١٩ / ١٣٠ .

فالسؤال موجّه لنبيّ الله عيسى ــ عليه السلام ــ يوم القيامة ، والتبكيت لمن فعل هذا الفعل المسؤول هو عنه ، فالسؤال " لتعريف القوم وتبكيتهم ...."(١)وقال الزركشيّ:" هو تبكيت للنصارى فيما ادّعوه ، كذا جعل السكاكي وغيره في هذه الآية من نوع التقرير ، وفيه نظر ؛ لأنّ ذلك لم يقع منه ."(٢) وقال الآلوسي : السؤال موجّه إليه " توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم بإقراره ــ عليه الصلاة والسلام ــ على رؤوس الأشهاد بالعبودية وأمرهم بعبادته ــ عز جلّ ــ "(٣)

فـ" سؤاله تعالى ، وهو عالم بالمسؤول ليجيبوا بما أجابوا ، فيبكت عبدتهم بتكذيبهم إيّاهم، فيزيد حسرتهم ويسرّ المؤمنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك ، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين ."(٤)

ومنه قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + L سبأ: ٤٠

فالاستفهام موجّه إلى الملائكة الّذين اتّخذهم المشركون أنداداً من دون الله تعالى، وأريد به تقريع المشركين وتوبيخهم أو تبكيتهم(٥) وإقناطهم " عمّا يتوقّعون من شفاعتهم."(٦)

وقوله تعالى : M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i L الفرقان: ١٧

---

(١) المفردات في غريب القرآن ١ / ٢٥٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٣٦ .

(٣) روح المعاني ٧ / ٦٤ .

(٤) البحر المحيط ٦ / ٤٤٧ .

(٥) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٥٣ ــ ٣٥٤ ، وإرشاد العقل السليم ٧ / ١٣٦ ، وروح المعاني ١٤ / ٣٠.

(٦) أنوار التنزيل ٤ / ٤٠٤ ، وينظر : روح المعاني ٢٢ / ١٥١ .

فالاستفهام موجّه إلى المعبودين ، لتقريع وتبكيت عبدتهم(١) . قال النسفيّ : " وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه أن يجيبوا بما أجابوا عنه به ، حتّى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إيّاهم، فتزيد حسرتهم ."(٢)

ومن الأساليب الّتي ورد فيها التبكيت بهمزة الاستفهام ما يكون الاستفهام بها عن الرؤية، كقوله تعالى: M o p q r s t u v w x y z {
| } ~ L الأنعام: ٤٠

ففي الآية " أمر لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بأن يبكّتهم، ويلقمهم الحجر، بما لا سبيل لهم إلى النكير... أي: أخبروني (إن اتاكم عذاب الله) حسبما أتى الأمم السابقة من العذاب الدنيوي (أو أتتكم الساعة) الّتي لا محيص عنها البتّة (أغير الله تدعون) هذا مناط الاستخبار ومحطّ التبكيت ."(٣) والمعنى : " أتخصّون آلهتكم بالدعوة بما هو عادتكم إذا أصابكم ضرّ أم تدعون الله دونها (إن كنتم صادقين) في أنّ الأصنام آلهة فادعوها لتخلّصكم ."(٤)

وقوله تعالى: M Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò
Ó Ô Õ Ö × Ø L هود: ٢٨

فهو " من إرخاء العنان والكلام المصنّف ، كأنّه عليه السلام قال : صدّقتم فيما قلتم إنّي لم أزل مرشداً لكم حليماً فيما بينكم ، لكن ما جئت به ليس غير الإرشاد والنصيحة لكم ، انظروا بعين الإنصاف وأنتم ألبّاء إن كنت على حجّة واضحة وقين من ربي وكنت نبيّاً ، أيصحّ لي وأنا مرشدكم والناصح لكم أن لا آمركم بترك الأوثان والكفّ عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلاّ لذلك ."(٥)

---

(١) ينظر : أنوار التزيل ٤ / ٢١٠ .

(٢) مدارك التنزيل ٣ / ٦٣ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٣ /١٣٢ .

(٤) مدارك التنزيل ١ / ٣٢٢ .

(٥) روح المعاني ١٢ / ١١٨ .

وقوله تعالى : M t u v w x y z { قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا
¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ²
³ ´ ¶ ¸ ¹ » ¼ ½ ¾ L الزمر: ٣٨

قال الشوكاني : " ذكر سبحانه اعترافهم إذا سئلوا عن الخالق ....ثمّ أمـــر الله سبحانه رسوله أن يبكّتهم بعد هذا الاعتراف ويوبّخهم ، فقال : M قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ L أي : أخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراد بي من الضرّ ... M ® ¯ ° ± ² ³ ´ L عنّي بحيث لا تصل إليّ ."(١)

وقوله تعالى : M { | مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي
¬ ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º « ¼ L الأحقاف: ٤

فالاستفهام والأمر هنا جاء لتوبيخ المشركين وتبكيتهم(٢) .

وكأنّ الاستفهام عن الرؤية فيه تنبيه للخصم (المخاطب) على الأمر الّذي يذكر بعد الرؤية، إذ ينتبه الخصم ، ويصرف ذهنه إلى ما يقال ، ومحلّ التبكيت هو الأمر المذكور بعد الرؤية المستفهم عنها .

وبالهمزة استفهم عن المنفيّ لغرض التبكيت في قوله تعالى : M ª «
¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹
º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Ã Ä Æ Ç È É L يونس: ٣١

جاء التبكيت هنا بطريق الإنكار عليهم ، قال أبو السعود مفسّراً : " (فقل) عند ذلك تبكيتاً لهم (أفلا تتّقون) الهمزة لإنكار عدم الاتّقاء ، بمعنى إنكار الواقع ، كما في : (أتضرب أباك) بمعنى إنكار الوقوع ، كما في : أأضرب أبي ."(١)

---

(١) فتح القدير ٤ / ٤٦٥ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٨ / ٧٧ .

وقوله تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /
0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L لقمان: ٢٠

ففي هذا الاستفهام "توبيخ للمشركين وتبكيتهم ولإقامة الحجّة عليهم ."(٢)

وقوله تعالى : M > ? @ A B C D E F G H I J
K L N O P Q R L يس:٥٩ـ٦٠

فذكر أبو السعود أنّ ما جاء في هذا الموضع هو " من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والإلزام والتبكيت ، بين الأمر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنّم بقوله تعالى: (اصلوها اليوم) "(٣)

ـ هل : نصّ أبو القاسم الحسين بن محمد على أنّ حرف الاستفهام هذا يمكن أن يرد الاستفهام به على وجه الاستخبار ، أو التقرير ، ومن أغراض الاستفهام بهذا الحرف التبكيت، فقال : " (هل) حرف استخبار ، إمّا على سبيل الاستفهام ... أو على التقرير ؛ تنبيهاً أو تبكيتاً أو نفياً . "(٤)

M L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] L
الشعراء:٩١ـ ٩٣

فالجملة الاستفهاميّة (هل ينصرونكم أو ينتصرون) للتبكيت ، لا يراد منها جواب (٥). وهو استفهام إنكاريّ يدلّ على نفي قدرة معبوداتهم من دونه تعالى على النفع والضرّ ، فهي لن تنصرهم ، بل لن تستطيع نصر أنفسها ، والمعنى : " ليست

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤ / ١٤١ .

(٢) فتح القدير ٤ / ٢٤١ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧ / ١٧٥ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ١ / ٥٤٤ .

(٥) إرشاد العقل السليم ٦ / ٢٥١ .

الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئاً، ولا تدفع عن أنفسها، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون."((١))

وقال تعالى:M 7 8 9 : ; < = > ? @ A B
C D E F G H I J L M N O P R S T U
V W X Y Z [L إبراهيم: ٢١

قال الزمخشريّ : " وقولهم : (فهل أنتم مغنون عنّا) من باب التبكيت ؛ لأنّهم قد علموا أنّهم لا يقدرون على الإغناء عنهم ."(٢) وقال أبو السعود : " والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت ."(٣) والمعنى : " فهل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا."(٤)

وقال تعالى : M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / 0
2 3 4 L يونس: ٣٤

في هذه الآية احتجاج على حقيقة التوحيد وبطلان الإشراك ، " والسؤال للتبكيت والإلزام."(٥) إذ "ألقم الله تعالى المشركين في هذه الآيات حجراً، بأن الشركاء التي يعبدونها من دونه لا قدرة لها على فعل شيء، وأنه هو وحده جل وعلا الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده بالإحياء مرة أخرى، وأنه يهدي من يشاء."(٦)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤١٣ .

(٢) الكشاف ٢ / ٥١٥ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٥ / ٤١ ، وينظر : التحرير والتنوير١٢ / ٢٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٦٤٢ .

(٥) روح المعاني ١١ / ١١٣ .

(٦) أضواء البيان ٢ / ١٥٥ .

وقال تعالى: M / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; <
> ? @ A B C D E G H I J K L M O
P Q R S T U V W L الأنعام: ١٤٨

الاستفهام هنا يفيد الطلب ، إذ أمروا بإخراج العلم ، وهو طلب تبكيت وتهكّم ، قال ابن عاشور : "وجاء بالاستفهام المقصود منه الإفحام والتهكم بما عرف من تشبتهم بمثل هذا الاستدلال.وجعل الاستفهام بـ (هَلْ) لأنها تدل على طلب تحقيق الإسناد المسؤول عنه....فدل بـ (هَلْ) على أنه سائل عن أمر يريد أن يكون محققا كأنه يرغب في حصوله فيغريهم بإظهاره حتى إذا عجزوا كان قطعا لدعواهم."(١)

وقال الشوكاني : " أي : هل عندكم دليل صحيح بعد من العلم النافع ، فتخرجوه إلينا لننظر فيه ونتدبره . والمقصود من هذا التبكيت لهم ؛ لأنّه قد علم أنّه لا علم عندهم يصلح للحجة ويقوم به البرهان ، ثمّ أوضح لهم أنّهم ليسوا على شيء من العلم أنّهم إنّما يتبعون الظنون ... (إن أنتم إلاّ تخرصون) ."(٢)

وقد وقع التبكيت بهذه الأداة ، في أسلوب الأسلوب الاستفهام الإنكاري ، مع أداة الحصر (إلاّ) في قولـه تعـالى: M ! " # $ % & ' ( ) ( ) *
+ , - . 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ?
@ A B D E F G H L الأنعام: ١٥٨

في هذا الاستفهام " رجوع إلى عدّ ما هم فيه من العناد والاستشراء في الفساد ، وأنّهم لا يقلعون عن ذلك ، كأسلافهم الغابرين إلى يوم التناد ، وما وقع من أحوال أضدادهم في العلن ، كان لزيادة التحسير والتبكيت والتخسير . وفيه دلالة على أنّ

---

(١) التحرير والتنوير ٧ / ١١.

(٢) فتح القدير ٢ / ١٧٥ .

الحجّة قد تمّت ، وأنّه ــ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ــ أدّى ما عليه مــن الــبلاغ المبين ."(١)

وقولــه تعــالى : M - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L النمل: ٩٠

فبهذا القول يذكرونهم بأنهم لا يجزون إلا ما عملوه ، فما يلقونه مــن حســاب وعذاب هو جزاء أعمالهم ، ونصّ السيوطي على أنّ الغرض منه هو تبكيــتهم(٢). والمعنى أنّهم " يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم."(٣)

ــ مَن :

جاء الاستفهام بـــ(من) الاستفهامية لغرض التبكيت في قوله تعــالى : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ B C D E F G H J K M N O P Q R L الأنعام: ٩١

فالاستفهام في قوله تعــالى :] **1 2 3 4 5 6 7** Z هــو اســتفهام تقريري جاء لغرض التبكيت . والمعنى : " أنزل الله التوراة على موسى ... وقــد قصد به إلزام اليهود وردّ قولهم : (ما أنزل الله على بشــر مــن شــيء) . "(٤) فالاستفهام جاء لغرض التبكيت وإلقام الحجر(٥) . وجاء باســم الاســتفهام (مــن) ؛ جواباً على قول باطل صدر من اليهود ؛ ليكون ردّ قولهم هذا بأســلوب الاســتفهام

---

(١) روح المعاني ١٤ / ١٣٥ .

(٢) ينظر : تفسير الجلالين ٥٠٥/١ .

(٣) جامع البيان ١٩ / ٥١٠.

(٤) شرح التلويح على التوضيح ١ / ٩٨ .

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣ / ١٦١ .

عمّن أنزل الكتاب على نبيّهم الّذي آمنوا به؛ لأنّهم يعلنون إيمانهم أنّ هذا الكتاب أنزله الحقّ سبحانه، ولا ينكرون ذلك، فكان إفحامهم بسؤالهم عمّا قرّروه هم بأنفسهم. ويجتمع التقريع مع التبكيت، قال الشوكاني: "فكأنّ في هذا من التبكيت لهم والتقريع ما لا يقادر قدره، مع إلجائهم إلى الاعتراف بما أنكروه من وقوع ما أنكروه من وقوع إنزال الله على بشر ، وهم الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فبطل جحدهم ، وتبيّن فساد إنكارهم ."(١)

وقوله تعالى :DM E F G H I K L N O P Q

S T U V W X Y [\ ] ^ _ ` a L

الأنعام: ١٢

قال الزمخشري : "أي : هو الله ، لا خلاف بيني وبينكم ، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره ."(٢)

وقال الشوكاني: "هذا احتجاج عليهم وتبكيت لهم . والمعنى : قل لهم هذا القول، فإن قالوا: فعل الله ، وإذا ثبت أنّ له ما في السماوات والأرض إمّا باعترافهم أو بقيام الحجّة عليهم. فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب ، ولكنّه كتب على نفسه الرحمة. أي: وعد بها فضلاً منه وتكرّماً ."(٣) فالاستفهام للتبكيت ، وهو استفهام متعيّن الجواب ، إذ جاء الجواب في قوله : **(قل لله)** ، وهو تقرير لهم وتنبيه لهم على أنّهم لا يمكنهم أن يذكروا جواباً غيره(٤) .

وقال تعالى : M! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

0 1 3 4 5 L القصص: ٧١

---

(١) فتح القدير ٢ / ١٣٩ .

(٢) الكشاف ٢ / ١٠ .

(٣) فتح القدير ٢ / ١٠٣ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل ٢ / ٣٩٤ .

جاء الاستفهام بـــ(من) هنا لغرض التبكيت، وهو استفهام إنكاريّ، قـــال ابـــن عاشور:"والاستفهام في (أَرَءيْتُمْ) تقريري، والاستفهام في (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَـــأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ) إنكاري وهم معترفون بهذا الانتفاء وأن خالق الليل والنهار هو الله تعالى لا غيره."⁽¹⁾ وقد ذكرت صفة الإتيان بالضياء ؛ لأنها الصفة التي يدور عليهـــا أمـــر التبكيت والإلزام ، وفيه " قصد بيان انتفاء الموصوف انتفاء الصفة ، ولم يقل (هل إله) لإيراد التبكيت والإلزام على زعمهم ."⁽²⁾

وقال تعـــالى : M ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶
¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Ã Ä Æ Ç È É L
يونس: ٣١

فالغرض من الاستفهام هنا هو تبكيت المشركين " بحملهم على الإقرار بأنّ آلهتهم لا يملكون مثقال ذرّة فيهما ، وأنّ الرازق هو الله تعالى ، فـــإنّهم لا ينكرونـــه ."⁽³⁾ فالتبكيت هنا يؤدّي إلى إقرار الخصم بما يريده المبكت منه ، وإقراره بعكـــس مـــا يدّعي. ويجتمع التوبيخ مع التبكيت في هذا الموضع ، قال الشوكاني : " ثمّ أمر الله سبحانه رسوله أن يبكت المشركين ويوبّخهم، فقال: (قل من يرزقكم من السماوات والأرض) أي : من ينعم عليكم بهذه الأرزاق الّتي تتمتّعون بها ، فـــإنّ آلهـــتكم لا يملكون مثقال ذرّة ....ولمّا كان الكفّار لا يقدرون على جواب هذا الاستفهام ، ولـــم تقبل عقولهم نسبة هذا الرزق إلى آلهتهم ، وربّما يتوقّفون في نسبته إلى الله ؛ مخافة أن تقوم عليهم الحجة ، فأمر الله رسوله بأن يجيب عن ذلك ، فقال : قل الله . أي : هو الّذي يرزقكم من السماوات والأرض ..."⁽⁴⁾ فالاستفهام هنـــا لتـــوبيخهم ، ثـــمّ تبكيتهم به، ولا يراد منهم جواباً له ؛ لأنّ جوابه معروف معلوم للجميع .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠ / ٩٩ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٧ / ٢٣ .

(٣) إرشاد العقل السليم ٧ / ١٣٢ ، وينظر : روح المعاني ٢٢ / ١٤٠.

(٤) فتح القدير ٤ / ٣٢٥ .

ومثل هذا جاء في قوله تعــالى : M ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ ©

ª « ¬ ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼

½ ¾ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í

Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Ö × Ø Ù ! " # $

% & L المؤمنون: ٨٤ ــ ٩٠

فالاستفهام بــ(من) في الآيات يفيد تبكيت الكفّار على إشراكهم؛ "....ويقوّي هــذا أنّه أخبر عن الجواب قبل لأن يجيبوا، فقال سبحانه: (سيقولون لله) ، فإنّ بداهــة العقل تضطرّهم إلى الاعتراف بأنّه سبحانه خالقها ...(قل) أي : عند اعتــرافهم بذلك تبكيتاً لهم."(١) فالمستفهم عنه متعيّن معروف عند الجميــع، إذ لا يملكــون أن يجيبوا بغيره. فتبكيتهم بإلزامهم بالإقرار بما يراد منهم أن يقرّوا به .

M g h i j k l m o p q r t u v w x y z

ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ¥ ¦ § ¨ © ª L الملك: ١٩ــ ٢٠

جاء الاستفهام الإنكاري بــ(من) نافيا أن يكون للكفار ناصر غير الله تعالى ، لتبكيتهم بعد توبيخهم ، وفصل بين المعنيين بــ(أن) المنقطعة " المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمّل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثــار قدرة الله عز وجلّ، إلى التبكيت بما ذكر. والالتفات للتشديد في ذلك."(٢) والمستفهم عنه في هذا الموضع ليس له وجود قطّ، فلا يملكون لهذا الاستفهام جواباً، ومن هنا كان التبكيت .

---

(١) روح المعاني ١٨ / ٥٨ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٩ / ٨ ، وينظر : روح المعاني ٢٩ / ١٨.

ــ ما :

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: M+ , - . / 0 1 2 3 4
5 6 A B C D E L التين: ٤ ــ ٧

قال الآلوسي: " الخطاب في قوله تعالى : (فما يكذبك بعد بالدين) عند الجمهور للإنسان على طريق الالتفات ؛ لتشديد التوبيخ والتبكيت."⁽¹⁾ والمعنى: " أي: فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع، والبرهان الساطع بالجزاء، والمعنى : إنّ خلق الإنسان من نطفةٍ ، وتسويته بشراً سويًّا ، وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي."⁽²⁾

وورد الاستفهام بها مسبوقة بلام الجرّ في سياق الاستفهام عن سبب فعل ارتكبه المخاطبون لإنكاره ، وذلك في قوله تعالى : M [\ ] ^ _ `
a b c d e f g h i j k l m n p q
r s t u v w x y z L البقرة: ٩١

فجاء إنكار قتلهم الأنبياء بالاستفهام عن سببه ، مبكتاً إيّاهم باقتران فعلهم المستفهم عنه (القتل) بالإيمان (إن كنتم مؤمنين) ، أي : " إن كان الإيمان صفتكم كما تدّعون فلم تقتلون الأنبياء ، هل من وجه يقتضيه إيمانكم المزعوم لفعلكم هذا ؟ فإيمانكم لم يرخّص لكم القبائح : الّتي فعلتم ، بل منع عنها ، فتناقضتم في دعواكم له ، فتكون باطلاً . "⁽³⁾

و" الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب ، وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل ، كان الاعتراض على أسلافهم اعتراضا على أخلافهم ، وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية ."⁽⁴⁾

---

(١) روح المعاني ٣٠ / ١٧٧ .

(٢) البحر المديد ٨ / ٤٩٧.

(٣) روح المعاني ١ / ٣٢٧ .

(٤) إرشاد العقل السليم ١/ ١٣٠ .

وقولـــه تعـــالى : M ! " # $ % & ' (* +
, - . / 0 1 2 4 5 6 7 8 9 ; < =
> ? @ B C D L المائدة: ١٨

قال الآلوسي في شرحه :" (قل) إلزاماً لهم وتبكيتا (فلم يعذّبكم بذنوبكم) أي : إن صحّ ما زعمتم ، فلأيّ شيء يعذّبكم يوم القيامة بالنار أياما بعدد أيّـــام عبـــادتكم العجل ، وقد اعترفتم بذلك في غير ما موطن ، وهذا ينافي دعواكم القرب ومحبّـــة الله تعالى لكم ."(١)

ـ أين :

بالاستفهام عن المكان بـــ(أين) جاء معنى التبكيت في قوله تعـــالى:M À Á
Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ë Ì Í Î Ï Ñ Ò Ó Ô
Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý ß à á â ã ä å æ
ç è L الأعراف: ٣٧

فالملائكة يقولون هذا القول للمشركين عند نزع أرواحهم ، وفي قـــولهم هـــذا تبكيت لهم وتوبيخ وتقريع وتهكّم وتيئيس(٢) . والمعنى : " أين الذين كنتم تشـــركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله، ادعوهم يخلصوكم مما أنـــتم فيه."(٣)

وقولـــــه تعـــــالى: M ! " # $ % & ' ( )
* + - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L النحـــل: ٢٧

---

(١) روح المعاني ٦ / ١٠١ .

(٢) ينظر : زاد المسير ٣ / ١٩٤ ، والوجيز في تفسير الكتـــاب العزيـــز ١ / ٣٩٣ ، وتفســـير الجلالين ١ / ١٩٨ ، والتحرير والتنوير٨ / ٩٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٥٩ .

قال أبو السعود: " والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة أو المدافعة ، على طريقة الاستهزاء والتبكيت."(١) فالتبكيت جاء مع التوبيخ والاستهزاء ، قال القرطبيّ : " وهو توبيخ وزيادة خزي ."(٢)

ومثل هذا المعنى جاء في سياق ذكر الحشر في قوله تعالى : M l m n o p q r s t u v w x L الأنعام: ٢٢ قال الرازي : " فالمقصود منه التقريع والتبكيت لا السؤال ."(٣)

ــ كيف :

ورد التبكيت بأسلوب الاستفهام بـ(كيف) في قوله تعالى : M ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ L البقرة: ٢٨

قال الرازي : " واعلم أن قوله تعالى ، وإن كان بصورة الاستخبار ، فالمراد به التبكيت والتعنيف ؛ لأن عظم النعمة يقتضي عظم معصية المنعم ... فبين سبحانه وتعالى بذلك عظم ما أقدموا عليه من الكفر بأن ذكرهم نعمه العظيمة؛ ليزجرهم بذلك عما أقدموا عليه من التمسك بالكفر ويبعثهم على اكتساب الإيمان ..."(٤) وهو تبكيت جاء بطريق التوبيخ ، قال أبو البقاء : " فالتوبيخُ كقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرونَ باللهِ) "(٥)

فبعظم معصيتهم لربّهم بكفرهم به وهو خالقهم والمنعم عليهم ، استحقّوا تبكيتهم بتعنيفهم وتوبيخهم على معصيتهم ؛ تعظيماً لها ؛ لبيان حقيقتها ؛ فالكفر بالله

---

(١) إرشاد العقل السليم ٥ / ١٠٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٣٠٩ .، وينظر : التحرير والتنوير ٢٠ / ٩٣ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٢ / ١٥٠ .

(٤) مفاتيح الغيب ٢ / ١٣٨ .

(٥) اللباب في علل البناء والإعراب ٢ / ١٢٩ .

ظلم عظيم يقود صاحبه إلى خلود في نار جهنّم ، وهو أسلوب فيه حثّ على الإيمان ونبذ للكفر .

ـ أيّ :

ورد التبكيت بالاستفهام بهذه الأداة في قوله تعـــالى :M = > ? @ A
B C D L التكوير: ٨ - ٩

فالجملة الاستفهاميّة (بأيّ ذنب قتلت) ؛ وردت لقصـــد الإشـــعار بـــأنّ هـــذه الموءودة ، إذ قتلت، كان قتلها بلا ذنب اقترفته ، وبعظم جرم قاتلها ، فتوجّه السؤال لها تبكيتا لوائداها(١) . و "لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها ، وإسقاطه عن درجة الخطاب ، والمبالغة في تبكيته."(٢)

.التبكيت بأسلوب التحضيض :

ورد في قولـــه تعـــالى : M Æ Ç È É Ê Ë Í Î
Ï Ð Ñ Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú L الكهف: ١٥

والمعنى : هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة ، " وهو تبكيت ؛ لأنّ الإتيـــان بالسلطان على عبادة الأوثان محال ."(٣) وقال أبو الســـعود : " (لـــولا يـــأتون) تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز ؛ أي هلاّ يأتون (عليهم) على ألـــوهيّتهم أو على صحّة اتّخاذهم لها آلهة (بسلطان مبين) بحجّة ظاهرة الدلالة على مـــدعاهم ، وهو تبكيت لهم وإلقام حجر ."(٤)

وقوله تعالى : M ? @ A B C L الواقعة: ٥٧

---

(١) ينظر : الكشاف ٤ / ٧٠٨ ، و أضواء البيان ٨ / ٤٣٨ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٩ / ١١٥ .

(٣) الكشاف ٢ / ٦٦١ ، وينظر : مدارك التنزيل ٣ / ٦ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٥ / ٢١٠ .

قال الآلوسي : " (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب ، وتوجيه إلى الكفر بطريق الإلزام والتبكيت ، والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها ، أي : فهلاّ تصدّقون بالخلق بقرينة] ? @ Z."(١)

وقوله تعالى :M = > ? @ A B C D E F G H I
J K L M L الواقعة:٨٣- ٨٥

جاء الجملة (فلولا إذا بلغت الحلقوم) لغرض التبكيت ، هو " مبنيّ على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى : (نحن خلقناكم) إلى هنا القوارع الدالة على كونه تحت ملكوته تعالى ، من حيث ذواتهم ، ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم ...و(ولولا) للتحضيض لإظهار عجزهم ."(٢)

.الخاتمة :

بعد انتهاء صفحات هذا البحث ، ألخّص في هذا الموضع أهمّ ما توصّل إليه من نتائج بما يأتي :

١ــ للتبكيت في المعاجم العربية أكثر من معنى ، إذ يعني الضرب بالعصا ، والاستقبال بما يكره ، والغلبة بالحجة . وعند البلاغيّين يعني الغلبة بالحجّة والإلزام بها .

٢ ــ لهذا المعنى طرق عديدة يؤدّى بها ، من أشهرها : الإنكار بنوعيها التوبيخي والتكذيبي، والتقرير ، والتعجيز ، والاستدراج ، وتوجيه السؤال ، والمذهب الكلامي ، وضرب الأمثال.

٣ ــ وردت للتبكيت أساليب عديدة بتراكيب نحويّة متنوّعة في القرآن الكريم ، فجاء بالجملة الاسميّة ؛ لإثبات حقيقة أنكرها الخصم ، أو توكيدها ، أو إثبات حقيقة يقرّ بها لإلزامه وحمله على الاعتراف والإقرار بها ، أو نفي اعتقاد أثبته الخصم لبيان بطلانه .

---

(١) روح المعاني ٢٧ / ١٤٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٨ / ٢٠٠ ، وينظر : روح المعاني ٢٧ / ١٥٨.

٤ ــ من التراكيب الجمليّة الّتي ورد بها البكيت الجملة الفعليّة ، فجاء بما ابتدأ منها بالفعل الماضي لإثبات حقيقة حصلت في زمن مضى ، وبالفعل المضارع للأخبار عن حقائق واقعة في المستقبل . كما أفادت الجملة الشرطيّة هذا المعنى في مواضع عديدة من القرآن الكريم .

٥ ــ ومن الأساليب الّتي ورد بها التبكيت بالجملة الفعليّة ذات الفعل الماضي ، إثبات فعل لمن لم يفعله ؛ لعجزه البيّن للجميه عن القيام به ؛ قصداً من المتكلّم دفع الخصم إلى نفي الفعل عمّن أثبت إليه ، والإقرار بعجزه عنه .

٦ ــ ومن أساليب التبكيت أسلوب الأمر ؛ لإظهار عجز المخاطب عن تنفيذه ، مع علم المتكلّم بعدم قدرة المخاطب على تنفيذ ما يؤمر به ؛ ممّا يؤدّي إلى تبكيته وإحراجه .

٧ ــ وأفاد الاستفهام هذا الغرض بأدواته المتنوّعة ، فجاء بالاستفهام بالهمزة ، و (هل)، و(من)، و (ما)، و (أين)، و(كيف)، و (أيّ) .

٨ ــ قد يجتمع في الجملة الواحدة التبكيت مع معانٍ أخرى، كالتوبيخ، أو العتاب، أو التحسير .

٩ ــ إنّ التبكيت لا يقتصر على المخاطب، بل يجوز في العربيّة تبكيت الغائب أيضاً ، وقد ورد ذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم . كما ورد أسلوب توجيه الخطاب للمخاطب بقصد تبكيت غيره .

المصادر والمراجع :

ــ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ) ــ تح. سعيد المندوب ــ دار الفكر ــ لبنان ، ١٩٩٦م

ــ إرشاد العقل السليم : أبو السعود محمد بن أحمد (ت ٩٠١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

ــ أساس البلاغة : الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، دار الفكر ، ١٩٧٩ .

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر ـ بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ .

ـ إعراب القرآن : أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ) ، تح . زهير غازي زاهد، عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٨٨ .

ـ الأفعال : أبو القاسم السعدي (ابن القطّاع) (ت ٥٠٩ هـ) ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ .

ـ أنوار التنزيل : البيضاوي (ت ٧٩١ هـ) ، دار الفكر ـ بيروت .

ـ الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني (٧٣٩هـ) ، تح . الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم ـ بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٨ .

ـ البحر المحيط : العلامة أبو حيان الأندلسى (ت ٧٥٤هـ) ـ دار الفكر (د . ت) .

ـ البحر المديد : أبو العباس الإدريسي (ت ١٢٢٤هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٢ .

ـ البرهان في علوم القرآن : الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٣٩١ .

ـ البلاغة الاصطلاحية : عبدة عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ـ القاهرة ، ١٩٨٩ .

ـ البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها : عبد الرحمن حسن حَبَنّكة الميداني ، دار القلم ـ دمشق ، ط١ ، ١٩٦٦ .

ـ البلاغة فنونها وأفنانها : د . حسن فضل عباس ، دار النفائس ـ الأردنّ ، ط٢، ٢٠٠٩ .

ـ تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تح . مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

ـ التحرير والتنوير : ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

ــ التسهيل لعلوم التنزيل : محمّد بن أحمد الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) ، دار الكتاب العربي ــ لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣ .

ــ تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة ، ط١ .

ــ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تح . محمود حسن ، دار الفكر .

ــ التفسير الكبير : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط١، ٢٠٠٠ .

ــ تهذيب اللغة : أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تح . محمد عوض مرعي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ .

ــ التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٥٤٥هـ)، تح . د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق ــ ط١ ، ١٤١٠

ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ت١٣٧٦هـ) ، تح . عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

ــ جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ) ، تح. أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .

ــ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : القاضي الأحمد نكري (١٣٣١هـ) ، تح . حسن هاني فحص ــ دار الكتب العلمية - بيروت – ط١ ، ٢٠٠٠ م .

ــ الجامع لأحكام القرآن : القرطبي (ت٦٧١هـ) ، دار الشعب ــ القاهرة .

ــ جمهرة اللغة : ابن دريد (ت٣٢١هـ) ، تح . رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ .

ــ خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) ، تح : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧.

ــ دراسات في البلاغة العربية :د. عبد العاطي غريب علام ، منشورات جامعة بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٧.

ــ دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تح . د.محمد التنجي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥.

ــ روح المعاني : الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

ــ زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط١، ١٤٠٤.

ــ سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، دار الكتاب العربي ــ بيروت (د . ت) .

ــ شرح التلويح على التوضيح : عبد الله بن مسعود البخاري (ت ٧١٩ هـ) ، تح . زكريّا عميرات ، دار الكتب العلميّة ــ بيروت ، ١٩٩٦.

ــ صفوة التفاسير : محمد بن علي الصابوني ، دار الصابوني ــ مكة المكرمة .

ــ عمدة القاري : بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

ــ العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، تح . د . مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

ــ غريب الحديث : حمد بن محمّد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، تح . عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أمّ القرى ، مكّة المكرّمة ، ١٤٠٢ .

ــ الفائق : الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تح . علي محمّد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ــ لبنان ، ط٢ .

ــ فتاوى السبكي : أبو الحسن السبكي (ت ٧٥٦هـ) ، دار المعرفة ــ بيروت .

ــ فتح الباري : ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هــ) ، تح . محبّ الدين الخطيب ، دار المعرفة ــ بيروت .
ــ فتح القدير : الشوكاني (ت١٢٥٠هــ) ، دار الفكر ــ بيروت .
ــ الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت٣٨٢هــ) ، تح . محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ــ القاهرة .
ــ في ظلال القرآن : سيد قطب (ت ١٩٦٧هــ) ، دار العلوم ــ القاهرة .
ــ القاموس المحيط : الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هــ) ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
ــ الكشاف : أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هــ) ، تح . عبد الرزاق المهدي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .
ــ اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هــ) ، تح : غازي مختار طليمات ، دار الفكر - دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥.
ــ اللباب في علوم الكتاب : ابن عادل الدمشقي (ت٨٨٠هــ) ، تح . الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت – ط١ ، ١٩٩٨ م .
ــ لسان العرب : ابن منظور (٧١١هــ) ، دار صادر ــ بيروت ، ط١ .
ــ المثل السائر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هــ) ، المكتبة العصرية تح . محمد محيي الدين عبدالحميد - بيروت ، ١٩٩٥ .
ــ المحيط في اللغة : أبو القاسم الطالقاني (الصاحب بن عبّاد) (ت ٣٨٥هــ) ، تح.الشيخ محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب – بيروت، ط١ ، ١٩٩٤ م .
ــ المخصص : أبو الحسن ابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨هــ) ، تح : خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت – ط١ ، ١٩٩٦م
ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل :أبو البركات النسفي (٧١٠هــ) ، دار الكتاب العربي ــ بيروت .
ــ المصباح المنير : أحمد محمد الفيومي (٧٧٠هــ) ، المكتبة العلمية ــ بيروت.

ــ معالم التنزيل : البغوي (٥١٦هـ) ، تح . محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤ - ١٩٩٧ م.

ــ معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجّاج (ت ٣١١هـ) ، تح . أحمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلميّة ــ بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

ــ المعجم المفصل في علوم البلاغة : د . إنعام نوّال عكّاوي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت،ط٢ ، ١٩٩٦ .

ــ المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات وحامد عبد القادر و محمد النجار، تح . مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ــ القاهرة .

ــ المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠هـ)، مكتبة أسامة بن زيد – حلب ، ط١ ، ١٩٧٩.

ــ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١،٢٠٠٠ م.

ــ المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، تح. محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ــ لبنان .

ــ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تح . صفوان عدنان داودي ، دار القلم ــ دمشق ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .

ــ يقظة أولي الاعتبار : صديق بن حسن بن علي القنوجي (ت ١٢٤٨ هـ) ، تح . د . أحمد حجازي السقا ، دار الأنصار ــ القاهرة ــ ط١ ، ١٩٨٧ .